ISLE OF ARRAN

جزيرة آران

رواية

عبدالله بو موزة

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة:

ლ.•*"""*•〖Kenny〗•*"""*•.ლ

إهداءٌ خاصٌّ

لِمن استَوطنَتا قلبي: لأمّي وبَهجَة روحي: شكرًا لك.

و لِابنَة أخي "سليل أحمد":

أتمنّى أن تكوني فَخورةً بي في المُستقبَل القَريب

تَذكّر عندما تَزرَع ثَمرةً أنّه يجِب تهتمّ بها وتَسقيَها بشكلٍ يوميّ؛ لكي تَقطِف ثِمار تَعبك، هكذا الكتابة لن تصلَ إلى الشّيء الذي تُريده دون أن تَسقيَ ثِمارك.

عبدالله بوموزة.

تقع أحداث الرّواية قبل الوَباء القاتل نَهضَة الزّومبي بعِشرين عامًا.

الخَطيئَةَ ذَنبٌ

مُلتصقٌ بنا

فلن تُغْفرَ لنا

إلّا عندما نَموت

إنّها جَزيرَة

تُسمّى بأرض الخَطايا

فالموتُ بداخلِها لَعنةٌ

والدّخول لها كَبَيعِ روحك للشّيطان!

أنا! عَدوّ الحياةِ! لَستُ تلك النّجوم الملعونَة ورَأيتُ ضَوء آلاف الشّموس!

أنا العَذاب...

أنا نُسخةٌ غير مُقدّسةٍ من الحَياة وسُخريةٌ من حياتها...

أنا خَطيئةُ الأرض ولَعنةُ السّماءِ...

أنا لَستُ مَلِكًا... أنا لَستُ!!

أنا أَسوأُ من كلّ هذا!!

السّاعَة 3:33 فجرًا

قبل حُضور الزّوار للجَزيرَة بيومٍ واحد.

يَتقدّمُ مجموعةٌ من الناس مُقنّعين بأقنعةٍ مَصنوعةٍ من أغصان الأشجار مُتقَنةِ الصُّنع، مُمسِكين بأياديهم جذعَ شجرةٍ مُشتعِل، يَسيرون بخطواتٍ واحدة ويُردّدون مجموعة من الكلمات غير المَفهومَة، أمامهم مجموعة من الأشخاص مُمسكين بشجرةٍ منزوعةِ الجذوع ثُبِّتَ بها لَوحَين خشبيّين، كان هناك رجلٌ مُعلّق في الشّجرة مُغمًى عليه عاريًا، لم يكن يَلبِس أيَّ شيء يُغطّي جسده، وعندما اقتَربوا من المَكان المَنشود أصبحَت أصواتهم أعلى ممّا سبَق، كانوا قَريبين من نِهاية الجَزيرَة وعندما وصلوا للمكان الذي كانوا يَعلَمون مُسبقًا أنّه كهفٌ ولكنه مُخفًى عليهم، ثبّتوا الشّجرَة عند طرَف نِهاية الجزيرَة وتقدّمت امرأةٌ عند دائرةٍ مصنوعةٍ مِن عظامٍ بشريّةٍ وأصبح جميع الأشخاص خلف المرأة التي تقِف داخل الدائرة، بدأَت تَهُزّ رأسَها بخِفّةٍ وتُتَمتمُ، أخذَت دقّات الطّبول تَزداد وتَعلو والدّماء تتناثَر في كلّ مكانٍ. هناك مَن كان يرقُص، وآخر يمسكُ بعُنُق حِصانه المَنحور، وينثُر الدّماء حول المكان. عَلَت دقّات الطّبول في آذان الجَميع، حتى مَن كانوا بالجَزيرَة شَرَعوا يُخرِجون رُؤوسَهم من النّوافذ بفضولٍ وترقُّبٍ غير معلومٍ لِما يجري.

ازدادَت دقّات الطُّبول وارتَفعَت أكثر فأكثر، حتّى أنّهم بَدؤُوا يَسمَعونَها في عقولهم وكأنّها أصبحَت جُزءًا منهم. وفجأةً خرجَ صوتُ صرخةٍ تُجلجِلُ العِظام، ثمَّ توقّفَ كلُّ شيءٍ. هَدأَت عُقولُهم وسكنَت دَقّات قلوبهم التي كانت ترقُص مع تلكَ الطُّبول المُرعبَة، وانتَهى كلُّ شيءٍ مع تلك الصّرخَة، أصبحَت الشّجرةُ رَمادًا والجُثّة تبقّى منها العِظام، لقد حدَثَ كلُّ شيءٍ بسُرعة، لو كان هناك رَجُل ينظر لما فَعلوه ما كانَ ليُصدِّقَ سُرعَة ما حدَث هناك!

خرجتْ المَرأة من الدّائرة وذهبَت عند طَرَف الجَزيرَة ونظَرَت إلى الأسفل وقالت: "غدًا سيَموت!".

نَظرَت خلفَها ووَجدتْهم جميعهم ينظرون إليها فصرخَت وقالت: "هيّا، لنَخرُج من هذه الجَزيرَة؛ فلا مَكانَ لنا هُنا بعد اليوم".

شِتاء نيويورك

يوم الأحَد

السّاعة 8:48

رِياحٌ عاتيةٌ وباردةٌ تَضرِب كوب قهوةٍ ساخنةٍ تُمسِكه شابةٌ تَسيرُ على قارعة الطّريق المُمتلئ بالثُّلوج المُتساقِطَة التي غَطّت مُعظَم المَدينة والسّيارات، بينما كان أمامها مباشرةً شَيخٌ بصُحبةِ كلبِه المُزمجِر يَسيران باتّجاهها. تَرتعِشُ الشّابّةُ من البَرد القارِس وهي تُحاول شُربَ قَهوتها وكذلك الشّيخ ولم يتَوقّفا عن ذلك الارتِعاش إلا عندما أصبَحا بجانب بعض وسَمِعا صوتَ رجلٍ يقول من أحد البيوت الجانبيّة لقارعة الطّريق

قال [الرجل]: "حسنًا تَوقّفي عن القَفز!".

الذي تخطّى عمرهُ سِتّة عقود لزَوجتِه التي كانت تصرُخ وتتَصرّف مثل الأطفال

[الزوجة]: "لا أُصدّق هذا يا [ديفيد] حُلمي سيَتحقّق!".

احتَضنتْه زوجتُه بقوّةٍ ولم تتركه إلا بعدما أبعدَها عنه قليلاً ثم نظرَ لعَينيها اللّتين بَدأَتا تَذرِفان الدّموع

[ديفيد]: "أوه عزيزتي لا تبكي!".

مدّ يَديه إلى كَتِفيها ورَبّت عليهما ثم ضغطَ عليهما

لتقولَ له [الزوجة]: "أنت تعلمُ أنّه حلمي منذ أن تزوّجنا والآن تَحقّق، يا ليت لو أنّ ابني هربرت كان موجودًا، كان سَيفرَحُ فرحًا كبيرًا".

أنزلَ [ديفيد] رأسَه وأبعدَ يَديه عن كتِفِ زوجتِه ثمّ قالَ لها بصوتٍ مُرتجٍّ كالعادة عندما تتحدّث عن ابنهما

[ديفيد]: "الموت سُنّةُ الحياة، والحياة تتطلّب الموت، ولا حياة ستُخلَّدُ لنِهاية العالم، لهذا يجب أن نتذكّره بالأشياء الجيّدة دائمًا!".

وَضعَت كفَّ يَدِها بقُرب فمها وقالت: "يا إلهي يا [ديفيد] أنا لم أقصِد هذا أبدًا".

ابتعدَ عنها وجلسَ على الأريكة

وقال [ديفيد] وهو ينظرُ إليها: لا تَقلَقي"

رفعَ يَدَهُ ولَوّح لها، فاقتربَت منه وجلسَت على رُكبتَيها وأمسكَت بيده بحنانٍ ثمَّ جَلبتْها نحو وَجهِهاوبدأَت تمسَح بها وتُقبّلها وهي تقول

[الزوجة]: "الحُزن لا يليقُ بك أيّها الجنديّ".

رفعَ [ديفيد] رأسَه وابتسمَ ومَسحَ بيده الأخرى على شَعر زَوجتِه: "كوني مُستعدّةً غدًا؛ فالرّحلة عند السّاعة 9:30 مساءً، الرّحلة ستأخُذ سِتّ ساعاتِ طيرانٍ للوُصول إلى إسكُتلَندا ومن ثمّ إلى..."،

صمتَ لثوانٍ ثمّ أردفَ قائلًا بسُخريةٍ: "المُنتجَع الصّحيّ للعَجَزة مثلنا".

لم تتَمكّن زوجتُه من كَتمِ ضِحكتِها وأطلقتْها برِقّةٍ...

لقد كانت هذه الرّحلة هي الرّحلة الأولى لهما بعدَ مقتلِ ولدهما هربرت.
قُرابةَ السّادسة مساءً في اليوم التّالي بالتّحديد في غُرفةِ الزّوجين كانت [الزوجة] تُغلق حَقيبةً إضافيّةً لها بينما كان [ديفيد] الجالس على طرَف السّرير

بيَده كوبٌ مِن عصير البُرتقال اشتَراه مُسبقًا يتذمّر قائلًا: "ألم نَنتهِ من تَوضِيب الحَقائب أمس؟ ما هذه الحَقيبَة؟ هل يُوجَد المزيد؟".

أجابتْه باقتِضاب وهي تُغلِق الحقيبَة بعدما أخذَت الكوب الصّغير من بين يَديه لتشرَبَ منه وتُروي عَطَشها وتُعيدُه إليه: "مُجرّد حقيبة أخرى، لدينا رِحلة طويلة ولهذا يجِب أن يكونَ كلّ شيء مُتوفّرًا لدينا؛ أنتَ تعلَم أنّها جَزيرَة مُغلقَة ولن أجدَ جميعَ احتِياجاتي هناك".

ابتسمَ [ديفيد] بسُخريَة قائلًا: "نعم، كالتي قَبلها، ولن نتوقّف إلى أن أدفعَ كلّ المال الذي جَمعتُه طوال سِنِيَّ لأجل بعض الحقائب".

ثمّ عاوَدَ الشُّرب من عَصير البرتقال، نظرَت له نظرةً ثمّ ضَحكَت بتذمُّر: "توقّف! لا تُحاوِل أن تُفسِدَ هذه الرّحلة!".

أبعدَ [ديفيد] الكوب عن فَمِه وضحكَ قائلًا: "ماذا؟ أنا لم أقُل ما هو خاطِئ فقد رَتّبتِ لكِ حَقيبَتين إضافيّتين وهذه الثالثة وتَقولين مُجرّد حقيبة أُخرى".

[الزوجة] مُبتسمَةً ببرُودٍ: "أَغراضي المُهمّة كثيرة".

[ديفيد] وهو يَبتسِم بخُبث: "وما هي؟".

[الزوجة] وهي تَضحَك بخِفّة: "كَفاكَ عَبثًا!".

قال [ديفيد]: "يا إلهي حسنًا حسنًا، لا تأخذي وقتكِ فالرّحلة بعد ساعاتٍ مَعدودةٍ".

[الزوجة] مُبتسمَةً: "سأفعَل، والآن اتّصل على [ريك] لكي يُقلّنا إلى المَطار، لم يَتبقَّ الكثير على انتِهائي من التّوضيب".

انتهَت [الزوجة] من تَوضِيب حَقيبتِها الإضافية وبقيَت مع زوجها بالخارج في انتظار من يُقلّهما للمَطار، وهو شابٌّ اسمه [ريك] لم يتَجاوَز العشرين من العمر يَسكُن مع والدته في المنزل المُجاور لمنزلهما وعلاقتهما به أقلُّ ما يُقالُ عنها كعلاقة عائلةٍ صغيرةٍ.

لم يأخُذ دقائق مَعدودة حتّى خرَج من منزله، ركَب سيّارتَه وأدارَ مُحرّكها ليذهبَ للزّوجين، وبعد وصوله تَرجّل من السيّارة ثمّ فتحَ الصّندوق الخلفيّ وتوقّف بجانبهما ليُحيّيهما ثمّ بدَأ بحَمل الحَقائب للسّيارة.

تحدّثَت زوجة [ديفيد] ل[ريك] بعد ما ركِبوا السّيارة والجُهد واضحٌ على وَجهِه قائلة: "نحنُ آسفان لـ..".

قاطعَها [ريك] مُبتسمًا وهو يُلوّح بيده: "لا داعي للاعتِذار يا سيّدتي فأنا مثل ابنكما، إذا احتَجتُماني في شيءٍ فَسأُلبّيه بكلِّ سرورٍ".

تبادلَ الزّوجان نَظرات لثوانٍ ثمّ قال [ديفيد]: "شكرًا لك مجدّدًا".

تَحرّك [ديفيد] قليلًا بجسده ثم أكمل: "هيا كي لا تَفوتَنا الطّائرة".

تبسّم [ريك] بتَحرّجٍ من مُمازحَة جاره له ثمّ بدأ بقِيادة السّيارة بينما قالت [الزوجة] بصوتٍ مَسمُوع لـ [ديفيد]

مُبتسِمةً ونظرها على [ريك]: "إنّه يُشبِهه في شبابه".

تبدّلَت ملامح [ديفيد] للحُزن ثم قال: "كنتِ تَقولين إنّه لا يُوجَد مَن يُشبِهه".

[الزوجة] بحُزنٍ مُماثلٍ: "هناك مَشاعر لا يشعُر بها إلا الأمّهات فقط، كلّ ما أتمَنّاه وما يُسعدني أن أعرفَ من تَسبّب بمَقتل ابنِنا".

[ديفيد] ونظَرُه على رأس زَوجتِه المُسند لكِتفِه :

لماذا؟ هل ستُسامحينَه؟".

[الزوجة] مُبتسمَة بحُزن: "كلا، سأَجعله يَطلُب المَغفرَة ولن يَحصُل عليها منّي وسأجعل العَدالة تأخذ مَجراها، حياة الناس ليسَت عَبثًا ليَقتُل من يُريد ويَحصُل على المُسامحَة في الوَقتِ الذي يُريدُه!".

صمتَ [ديفيد] لثوانٍ، رفعَت زوجتُه رأسَها له وقالت: "ما بك؟ أأنتَ بخير؟".

[ديفيد] وهو يَتنَهّد: "كان من الحَقّ أن تأخذَ العدالة مَجراها لكنّ أشياءً كثيرَة مَنعَت ذلك...".

[الزوجة] والقلَق على وَجهِها: "ما هي تِلك الأشياء؟".

قاطعَ حوارَهما [ريك] بمُحاولةٍ منه لإبعادِ تلك الذّكرى الأليمة عن قَلبَيهِما المَفجوعَين ففكّرَ وسألَهما مُمازحًا: "تبدو رِحلة طويلة يا سيّد [ديفيد] فالحقائب كَبيرَة!".

[ديفيد] وهو ينظر لـ [زوجته] مبتسمًا: "هل تُصدّقني لو أَخبرتُك أنّ إحداها لي فقط؟".

[ريك] وهو يضحك: "لن أشكّ في ذلك".

[الزوجة] مُبتسِمة: "هناك أغراضٌ مهمّةٌ أحتاجها!".

[ديفيد] وهو يضحك: "نعم ثلاث حقائب كبيرة".

[الزوجة] وهي تَكِزُ كِتفَ زَوجها: "أنت تُحرجُني!".

التَفتَ [ديفيد] للشابّ وقال له: "سنَذهب لجزيرةٍ، سَنبقى فيها لفَترةٍ ليسَت بطَويلةٍ".

[ريك] مُمازحًا: "حظًّا مُوفّقًا، خُذا الحذَر فالجُزر عادةً ما تكون مَسكونَة".

ضحك الزّوجان مع [ريك]

الذي قال بصوتٍ مَسموعٍ لنفسه وابتسامةٍ مُحرجةٍ: "كان عليكَ الصّمت يا [ريك]!".

كانت الساعة السابعة والنِّصف لذا مع الطّريق الطّويل والحَديث بين الجَميع وصَلَت السّاعة قُرابة الثّامنة والنِّصف عندما وصلَ الزّوجان للمطار وبدأَ [ريك] بتَحميل الحقائب لهما ثم رحلَ بعد تَودِيعهما. سارَ الزّوجان في المَطار، واستقبلتهما فوراً مَوجةٌ من الأصوات والحركة الكثيرة من الأشخاص وفَجأةً دونَ سابقِ إنذار خرجَ فتًى مُقنّع خارج المَطار وخلفَه عَدَد من رجال الأمن يَركُضون خلفه، تقدّم شاب بعُمر الثّلاثين إلى الزّوجين ليَجلبَ لهما عَرَبة،

تَحدّث بصوتٍ خافِت إلى [زوجة ديفيد]: "هل يُمكنُني حَمل الحقائب بهذه العَرَبة إذا سَمحتِ سيّدتي؟".

نظرَت [الزوجة] إلى [ديفيد] الذي أَومَأَ برأسِه فقالت للشّاب: "نعم بالتأكيد، ولكن حاوِل التّحقّق من عدَم سُقوط الحَقائب".
ابتسمَ [ديفيد] وقال بصوتٍ بالكاد يَكون مَسمُوعًا: "يا لَلهول!".

بدأَ الشّاب بتَحميل الحقائب ووَضعَ بَعضَها فوق بَعض، ثمّ بدأَ بدَفعها نحو بوابة الدّخول لقاعة الطّائرة والزّوجان خلفه،

تَوقّفا أمام الاستِقبال فقال [الرجل]: "الجَواز والتّذكرة"،

أدخلَ [ديفيد] يده بداخل مِعطَفِه وأخرجَ التّذكرَتَين والجَوازين، مَدّ الرَّجلُ يدَه وأمسَكَها بلُطف قائلًا: "إلى أين أنتُما ذاهبان؟".

ابتسمَ [ديفيد] ثمّ أجابَه: "إلى جَزيرَة آران الإسكُتلنديّة".

أنهى [ديفيد] الإجراءات المُتبقّية ولم تصِل السّاعة التّاسعة والنّصف إلا وقد كانا بجانب بَعضِهما في الطّيّارة التي بدأَت بالتّحليق. كان التّوتُّر مُسيطرًا بشكلٍ بسيط على [الزوجة] على عَكسِ [ديفيد] الذي غَلبَه النُّعاس ليَنامَ على الفَور. ظَلّت [الزوجة] تُحدّق في الخارج من النّافذة للغيوم التي ظهرَت بسَبَب ضوء القمَر المُنير تِلك اللّيلة ولم يقطَع تَأمّلَها سوى صوت زوجها الذي نهضَ توًّا وهو يقول: "ألم تَخلُدي للنّوم؟".

التفتَت إليه وقالتْ وهي تَتنهّد بهدوء: "لا، لم أشعُر بالنّعاس".

[ديفيد]: "حاولي النّوم فنحنُ لن نذهَب للجزيرَة على الفَور".

[الزوجة] باستِغراب: "لماذا؟".

[ديفيد]: "سنَتوجّه بعد خروجنا من المَطار لأحد الفنادق المُصاحبَة للرّحلة وسنَبيتُ فيه حتّى اليوم التّالي حيث سنَصعَد على حافلة تأخذنا للمِيناء ومن هناك يأخذوننا لباخرَة تَتوجّه بنا إلى الجَزيرَة مباشرةً".

[الزوجة]: "إذًا لن أخلدَ للنّوم".

[ديفيد] باستِغراب: "ولمَ ذلك؟".

[الزوجة]: "لا أريد أن أشعُر بدُوار البَحر لذا سأبقى مُستيقِظَة حتّى نصلَ إلى الباخرة وأنام هناك".

[ديفيد] متَصنعًا الحُزن: "وتَتركينَني وَحدي؟".

[الزوجة] وهي تنظُر للخارج مُبتسمةً: "لم أعرِف أنّك جَبان".
ضحك الزّوج بقوّةٍ وكَتمَ ضِحكتَه لتَضحكَ زوجتُه هي الأخرى.
مرّت الدّقائق والتي تَحوّلَت لساعات في السّماء حتّى وَصلَت الساعة الثالثة والنّصف بعد مُنتصَف اللّيل عندما حَطّت الطائرة بعَجلاتها أرضًا.

كان مُعظَم من في الطائرة نائمين لكنّهم استَيقظوا بسبَب تَهليل الرُّكاب الفَرحين لوُصولِهم بسَلام ليخرجَ صوت قُبطان الطائرة يُبشّر الجميع بوُصولِهم.

دَنا الزّوج من زَوجتِه التي غلبَها النّعاسُ فنامَت بعمقٍ دونَ أن تشعرَ بكلّ تلكَ الأصوات فأيقَظَها قائلاً: "ظنَنتكِ لن تَنامي".

نهضَ الاثنان بعد استُيقاظ [الزوجة] من مَقعَدَيهما وكانا آخر الرّكاب ثم بدَءا بالسّير في مَمَرّ الطّائرَة حتّى استَقبلتْهما إحدى المُضيفات مُبتسمَةً وهي تَتمنّى لهما رِحلةً موفّقةً. هَبطَ الزّوجان من الطائرة وتَوجّها لاستِلام حَقائبهما وبالفعل بعد وصولهما وانتِظارهما لِما يُقارب ربع الساعة رَأيا حَقائبَهما آتية لهما على مِنصّة استِلام الحقائب. بعد أَخذِ حَقائبهما تَوجّها للخُروج من المَطار، وبعد خُروجهما بدَقائق ووُقوفهما في الخارج سَمِعا صوتًا يُنادي عليهما من مَسافَة فالتفَت [ديفيد] ليرَى رَجلاً يُقارَبَه في العُمر يتَقدّم مُبتسمًا إليهما فعلم أنّه السّائق الخاصّ بهما طوال فترة بقائهما في الفندق التابّع للرّحلة قبل تَوجّههما للجَزيرَة.

1

- "هيّا أسرِعي أيّتها الغَبيّة!".

قالها [رجلٌ] يَجرّ حَقيبتَه وأمامه ابنه يُهرولِ دون تَوجِيه من والده، وزَوجتُه التي بالخلف تنظُر لمن يَرحَل ويَدخُل في المَطار وعلامات التّعجُّب بوَجهِها حتّى أنّه لم يَقترِب منها أيُّ أحدٍ بسبب الرّائحة السّيئة التي تخرُج منها، ولكن لم تتمَكّن مِن إكمال تمعُّنها بالنّظَر فقد سَحبَها زَوجُها مِن يدها

تألَّمت كثيرًا وأَبعدَت يده عنها وقالت له بتَجهُّمٍ: "عليكَ اللّعنَة؛ لا تُمسكني هكذا مرّةً أُخرى!"

نظرَت للأمام ولم تجِد ابنَها فرَفعَت حاجبيها بتَوَتُّر ومَشَت بسرعةٍ أمام [زوجها] وضَربَت كتفه ليَبتعدَ عنها وقال بصوتٍ خافت: "تبًّا لكِ".
التفتَت [زوجته] وقالت له: "أين [جيرمي]؟!".

رفعَ [الرّجل] كتِفَيه ومَطّ شَفتَيه: "أحمَق!".

ضربَت الأرض وبدأَت تبحَث عن ابنها [جيرمي] ولم تَجِده في الأرجاء وبدأ التّوتّر يُسيطرُ عليها، أصبحَت تُمسِك الرّجال والنّساء والأطفال لتَسألَهم عنه وتَصفُ لهم شَكلَه ومَظهرَه، لكن لا أحد منهم سلّمها الأجوِبة المَطلوبَة ودائمًا ما يَبتعدون بعد أن يَشتمّوا الرّائحَة المُنبعِثة من جسدها ومن فَمِها الكَريه.

أتى أحد [ضُبّاط الأمن] بعد أن رأى حركاتها الغريبَة والتي لم يَفهمها فقَد كانت وحيدةً دون زوجها،

توقّفَ [الضابط] بجانبها قائلًا: "سيّدتي هل أنتِ بخير؟"

لم تُجِبه وابتَعدَت عنه، ولكنَّ حِسّه الأمنيّ لم يَجعلْه يَتركها بهذه البساطة فسارَ وتوقّف أمام وَجهِها وقال مرّةً أخرى: "سيّدتي إذا كان هناك شيءٌ مُريبٌ تَعرفينه يجِب أن تُخبريني".

أمسكَت [الزوجة] بحَقيبتِها بقوّةٍ وضربَت بها رأس رَجُل الأمن فسقطَ على الأرض ممّا سبّب له جُرحًا بسيطًا نَزفَ منه الدّماء، وَضعَ يدَه على مَكان الجُرح ونهضَ وكادَ أن يَضربَها، ولكن حضرَ [زوجُها] وهو مُمسِك بابنهما والحَقيبَة التي يَجرّها وتوقّف بجانبها ثمّ نظرَ للرّجل الذي رفعَ يده ليَضربَ [زوجتَه]، رفعَ حاجبه ونظرات الغضَب تَعلو وَجهَه: "هل تُريد ضربَ زَوجتي!؟"

بَدأ يقترِب من أمام رجل الأمن ولم يتوقّف إلّا عندما وصلَ أمام وجهِه وقال مرّة أخرى: "هل فكّرتَ بضَربِ زَوجتي؟!".

لم يتَحمّل الرّجُل وأبعدَ يده ليَرى الزّوج الدّماء التي خرجَت من رأسِه فارتَبكَ من منظرِ الدّماءِ فهو يَعرفُ زوجتهُ وأفعالها وأدركَ بأنّها قامَت بضربِ هذا الرّجلِ فحاولَ تَخليصَ نفسهِ من المَوقفِ وقال له: "هاهاهه بالتأكيد زوجتي لم تَضرِبك عَبثًا؛ أنتَ فعلتَ شيئًا لها ولذلك تَستَحقّ كلّ ضربةٍ وشَتيمةٍ تأتي نَحوَك!!".

اقتربَت مجموعةٌ من الرّجال يَلبسون زِيًّا مُوحّدًا [الرِجال الأمن]، توقّفوا بجانب الزّوج ورجُل الأمن الآخر وتقدّم أمامهم شخصٌ ذو بنيةٍ ضَخمةٍ مُمسكًا بيده عصًا مُعلّقة عند خاصِرتِه

وكان مُستعدًّا لضَرب الزّوج عند أيّ حركة يَفعله فقال [الضابط]: "ماذا يَحدُث هنا؟".

قالها بصَوتٍ خشنٍ ومُتَحشرجٍ، بدأَت تَظهر معالم التّوتُّر بوَجه [الزّوج] والذي التَفَّ وكأنّهُ يُريد من زوجته تَخليصَه من هذه المُشكلَة التي ورّطتهُ بها، ولكن لم يَجِدها! نعم لقد اختفَت، وعندما التَفتَ يَبحث في الأرجاء رآها عند قاطع التّذاكر مُمسكةً بيدِ [جيرمي] وباليد الأخرى الحَقيبَة، لم تَلتفِت إليه أو تُبدِ أيّ اهتمامٍ، لقد ورّطتهُ وهَربَت، التفتَ إلى جهةِ رِجالِ الأمن وابتسمَ بتوتُّرٍ: "أستَميحكم عُذرًا، زَوجَتي الحَمقاء ضربَت هذا الرّجل المُحترَم".

أشارَ إلى الرّجل الذي كان واضعًا يده مَكان النّزيف، تقدّم أحد أصدقائِه ووضعَ يديه عند كتِفه ليَتّكئ عليه: "لا عليكم سأرحَل الآن، أتمنّى لكم يومَ عملٍ جيّد"

ثمّ التفَّ وبِكفِّ يدِه أبعدَ العرَق الذي تَصبّب من هذا الموقف المُرعِب وأفكاره تتصارَع خوفًا مِن أن يقومَ ذاكَ الرّجلُ بتَوقيفهِ، ولحُسنِ حظّه لم يفعلوا.
توقّف ورأى الطّابور الطّويل وزوجته في المُقدّمة بدأ بالتّقدّم والشّتائم التي تأتي نحوه لم تتوقّف: "أعتذر؛ زوجتي في المُقدّمة، أعتذر".

بدأ يُكرّر هذه الجُملة وهو يتَقدّم حتّى وصلَ لزَوجتِه التي توقّف أمامها وابتسمَ للرّجل الذي يقطَع التّذاكر، ولكن من الجِهة الأخرى كان يَستَشيطُ غَضبًا منها ومن أفعالها الغبيّة.

لم يتَحمّل هذا الغضَب فمدَّ يده نحو يدِ زَوجتِه وقرَصها بقوّةٍ، ضغطَت على أسنانها بقوّةٍ وضربَت يده بقوّة ليَخرج صدى الضّربة لدى مَسامع الذين في الخلف .

فسألهم [قاطع التذاكر]: "إلى أين أنتم ذاهبون؟".

أجابَت [الزوجة] قاطعَ التّذاكر: "جزيرة آران الإسكُتلنديّة".

[قاطع التذاكر]: "لديكم حجزٌ مُسبقٌ أم تُريدون شراء التّذاكر الآن؟".

وضعَت [الزوجة] يدَها في حَقيبَتها وأخرجَت التّذاكر وسلّمتها الرّجل، وبدأ ينظُر إليها وقطعَ جُزءًا منها ثمّ أعادَها إلى [الزوجة]، ولكن زَوجها لم يَدعْها تأخذها فقد سحَبَها بقوّةٍ ومَشى مُبتعدًا عنها وعن ابنِه تاركًا إيّاها تجرُّ الحَقيبَة من خلفه، صعدَ إلى الطائرةِ بعد مدّةٍ وسلّمَ التذاكر إلى [امرأة] تقِف بجانب بَوّابَة الطّائرة لأخذ التّذاكر وتأكيد دُخول جَميع الرُّكابِ، لم يَبتعِد كثيرًا فأَوقفَته المرأةُ لتَسألهُ: "لَديك هنا تَذكِرتان؛ واحدةٌ لـ[جيرمي] بن [كريس] والذي هو بالتأكيد ابنك أمّا التذكرَة الأخرى فل[سيلا]... هل هُما مَوجودان؟".

نظرَ [كريس] خلفَه وأجابَها بالشّيء الوَحيد الذي سيَجعلُها تُميّز [زَوجتَه] فقال: "عندما يَلتقِط أنفُك رائحة سَمَك تَخرُج من ناحية امرأةٍ؛ فهذه هي زَوجتي.

جلسَ على مَقعدِه ليُصادف جُلوسه أمام عَجوزين يتَحدّثان بصوتٍ خافتٍ وكان يُحاول أن يَستمِع إليهما ولم يَلتقِط كثيرًا من الأحاديث سوى: "لا أريدُ أن أشعُر بدُوار البَحر".

ولكن قاطعَه جلوس ابنه بقُربه والذي بدأَ يُخرجُ أصواتًا مُزعجةً قليلاً ليُعكّرَ لحظاتِ الهدوءِ التي حاولَ [كريس] من خِلالها أن يُعيدَ تُوازنَه الدّاخلي بعيدًا عن زَوجتِه وابنه، وبَعدَها جَلسَت [الزوجة] على المَقعَد الأخير بجانِب النّافذَة....

2

ركبَ [ديفيد] السّيارَة والتي كانت من نوع لموزين والتي تتّسعُ لعددٍ كبيرٍ من الأشخاصِ، ثمَّ ركبَت زوجتُه خَلفَه وابتسمَت بشدّةٍ عندما رأَت شراب الفودكا والذي لم يَبتعِد عن عينيها،

ولكن حدّثها [ديفيد] وكأنّه يُريد تَنبيهَ طِفلتِه: "لا تفكّري بهذا يا [سأفانا]".

كادَت أن تَتحدّث، ولكن أتى [السّائق] وفتحَ الباب الخلفيّ وأدخلَ رأسَه وقال: "للأسَف حدثَ شيءٌ غير مُتوقّعٍ؛ السّيارةُ الأُخرى التي كانت ستأخذ العائلةَ الأخرى تَعطّلَت ولهذا أتيتُ لأخذ إذنكما إذا كنتما تَسمَحان بأن نأخُذ العائلة معنا وهذا بالطبع لن يُكلّفكما شيئًا عدا حملهم".
ابتسم [ديفيد] بلُطفٍ وقال بينما ضَحكَت [زوجتُه] بخفّةٍ: "لا مُشكلة يا رجُل، يُمكنهم التّفضّل".

أبعدَ [السّائق] رأسَه ونظرَ للخَلف وقال بصوتٍ مَسموع: "يُمكنُكم الرّكوب "
ركبتَ [امرأة] ذات عينين عسليّتين شَعرها مَربوط كذيل الحِصان وجِلد وبَشرَة كالثّلج وخلفها ابنها الذي يُشابهها كثيرًا ذو شعرٍ ناعمٍ وأنفٍ لطيفٍ،

بعدها ركبَ [الزّوج] الذي كان سَمينًا أَصلعَ الرّأس، يَملك شاربًا ضَخمًا وكان لديه تشوّهٌ بسيطٌ عند أنفِه، ولكن لا يُسبّب له مُشكلَة في التّنفُّس...

ابتسمَت [سأفانا] بوَجه [الطّفل] ثمّ التفتَت نحو [المرأة] والتي كانت تنظُر بازدراءٍ لها، التفتَت إلى [الرّجل] الذي معها ورأتْه يَبتسِم بوَجهِها فشَعرَت بالسّعادة قليلاً...

تَحرّكت السّيارة وبدأَت رِحلتهم التي ستأخذ ساعَتين للوُصول إلى الفندق، شعرَ [ديفيد] بالهُدوء الذي لا يُناسبه فحاولَ فتحَ مَوضوع مع الرّجُل والذي كان عن الجزيرة: " هل تَعلَم أنّ جزيرة آران الإِسكُتلنديّة هي أكبر جزيرة في فيرث كلايد، إسكُتلندا تبلغ مساحتها 432 ، وهي سابع أكبر جزيرة.
تُعتبر جزءًا من السّلطة الاتّحادية لآيرشير الشّمالية، وطبقًا لتِعداد 2011، ارتفعَ عَدد سكّانها إلى 4629 ساكنًا. إضافةً إلى أنّها عادة ضَمّت هبريدس، حيث تَشاطرَت معها الكثير من النّقاط في المُخطّطات البِنيويّة والثّقافية، وهذه الأخيرة تقَع في شمال غرب شِبه جزيرة كينتار. آران هي جزيرة جبليّة، وقد وُصفَت بأنّها "جنّة جيولوجيين "
بلعَ [ديفيد] رِيقَه ثمّ أكمَل: " ثُمّ نالَت الجزيرةُ الاهتِمام بالإعمار بشَكلٍ مُستمرّ منذ بداية العَصر الحَجَريّ الحَديث، كما يتّضِح من العَديد من بَقايا عُصور ما قبل التاريخ.

منذ القَرن السّادس، استُعمرَت الجَزيرَة من طَرَف شُعوبٍ أيرلنديّةٍ تتحدّثُ اللّغة الغيليّة، التي أصبحَت مَركزًا للنّشاط الدّيني. خلال الفترَة المُضطربَة التي كانت 'عصر الفايكينغ'، آران أصبحَت ملكة "التّاج النرويجي" قبل أن تُدخَلَ رسميًّا في مَملكةِ إسكُتلندا في القَرن الثالث عشَر. على التّصاريح في القرْن التاسع عشر أدى إلى تناقُص السُّكان واختِفاء اللّغة الغيلية وثَقافتِها"

ابتسمَ [ديفيد] بعد أن رأى الرّجل والمَرأة والطّفل يَستمِعون إليه بكلِّ حماسٍ وكأنّهم يَتُوقون للمَزيد، عدَّل من جِلستِه وتَقدّمَ بظَهرِهِ لهم وقال بصوتٍ خافتٍ: "لقد سمعتُ مِن جدّي أنَّ الخَطايا السّبع كانوا يَسكنون في هذه الجَزيرَة ويُديرونَها مثلما يَشاؤون".

صمتَ [ديفيد] ليَستمعَ إلى السُّؤال المُباغِت

الذي خرجَ من لِسان [الطّفل]: "من هُم الخَطايا السّبعة؟".

ابتسم [ديفيد] وأجابه: " الخَطايا السبع المُميتَة، والمَعروفَة أيضًا باسم الذّنوب الكارديناليّة، هي تَصنيف لمُعظَم الشُّرور التي استُخدِمَت لتَوعيَة وتَوجِيه أتباعها منذ بداية المَسيحيّةِ مرّاتٍ عدّة لكلِّ ما هو [غير أخلاقيّ] وما قد يَدفَع بالإنسان للوُقوع في الخَطيئَة. وهي "الغُرور" و"الجَشَع" و"الشّهوَة" و"الحسَد" و"الشّراهة" و"الغضَب" و"الكسَل"

تنهّد [ديفيد] ونظرَ لزوجتِه وطلبَ منها أن تسكبَ له الماء، شرب المِياه وبَلّ رِيقَه ثمّ أكمَل: "بعضهم -وليس جميعهم- يضَع الذّنوب بعُنق الشّياطين ولكلِّ شيطانٍ خَطيئة، مثلاً لإبليس خَطيئتُه 'الفَخر'. وعابد المال 'الطّمَع'. أسموديوس 'الشّهوة'. ليفياثان 'الحسَد'. بعلزبول 'الشّراهة'. أزاروكس 'الغضَب'. بيلبيجور 'الكسَل'. ويوجَد الكثير من الأساطير غير المُوثّقَة تَحدّثَت عنهم، ولكن لم يُصدّقها سوى القلائل والذين ماتوا بسبب تَصدِيقهم!"

تَحدّث [الطفل] بعَفويّة وقال: "لقَد جَذبَني 'الكسَل'؛ يذكّرني بوالدتي التي لا تُحبّ الطّبخ".

وَضعَت زوجةُ [ديفيد] يَدها لتَكتمَ ضِحكتَها وابتسمَ [ديفيد]، وضحكَ الرّجل بقوّة، وبَدأَت المَرأة تنظُر في عَينيّ ابنها بحِدّةٍ إلى أن جلسَ على الكرسيّ بقُرب والدِه وتساقطَت دُموعُه...

3

بعد قِيادةٍ استَمرّت ساعتين كاملتين سُمِعَ صوتُ [السّائق] بعد إنزاله للنّافذة الزّجاجيّة التي بالخَلف في السّيارة وهو يخاطبهم قائلًا بأنّهم اقتَرَبوا من الفُندق. كانت [سيلا] نائمةً طوال الطّريقِ مع ابنِها الذي لم يَدَعها تنام نومًا مُتواصلًا؛ فتارةً يتحرّكُ ويَكِزها برَأسِه لتَستيقِظ مُتجهّمةً وغاضبةً، وتارةً ينهضُ ويَسألها متى سيَصِلون. كان زوجها يتَحدّث مع [ديفيد] ويَسأله عن جزيرة آران و إسكُتلندا بحَماسٍ شديدٍ لم يقطعه سوى مُخاطَبة السّائق لهم والذي أيقَظَ [سأفانا].

تَوقّفَت السّيارة أمام فندق ذي باحَة مُتوسّطة الحَجمِ، انتَشرَت فيها أَرصِفة حَدّدَت الطّريق الخارجي للباحة الذي تَسير عليه السّيارات فقد كانت جَوانِب الأرصِفَة مُمتلِئة بالزّهور والشُّجيرات الصّغيرَة التي كان يَجزّها بستانيٌّ خاصٌّ بالفندق. ترجّلَ [ديفيد] من السّيارة بَعد فتحِ السّائق الباب له ثمَّ أمسكَ بيَد زَوجتِه بينما كان [جيرمي] يُوقِظ وَالدتَه التي نهضَت مُتجهّمةً وخَرجَت من السّيارة على عُجالة. خرجَ الطّفل مع والده حتّى توقّف بجانب زَوجتِه التي كانت تَنظُر ل[ديفيد] يتَحدّث مع زوجته مُبتسمًا وهو يُشير للفندق.

وَصلَ أحدُ العاملين في الفندق وبدأَ بتَحميل حَقائب الجَميع الذين بدؤوا بالسّير بينما كانت [سيلا] تُهرولِ ناحية حامل الحَقائب وهي تقول: "انتَبِه للحَقائب أيّها السّاذج!"

اعتذرَ العاملُ عن ذلك وبدأَ بالسّير ببُطءٍ وهو يَدفَع العرَبة التي بها الحَقائب عندها قالت [سأفانا] لزوجها بصوتٍ مَسموعٍ له: "ما هذه المُتعَجرِفة؟!".

تَحدّث [ديفيد] وهو مُكملُ السّير: "نحنُ لا دخل لنا فيها، فهذا شَأنها".

[سأفانا] وهي على مَشارِف الدّخول للفندق: "إذًا فلتُبقِه لنَفسِها ولا تُزعِج الآخرين به نحن لا نعيش في غابةٍ، الجَميع هنا يؤدّي عمله كما هو مَطلوبُ!!".

دَخلَ الزّوجان الفندق ليَقِفا أمامَ منطقةٍ واسعةٍ نِهايتها سُلم سُفليٌّ يقود لمنطقةٍ خلفيّةٍ مِن الفندق الضّخمِ ببابٍ زجاجيّ شفّافٍ وضّحَ لهما منطقةً أكبر تُطلُّ على بحرٍ شاسعٍ. كان الاستِقبال على يَمينِهما والأرائك والطّاولات كانَت في وسَط المنطقَة الواسِعة التي امتدَّت على بعض جوانِبها ممَرّات تُؤدي لغرفِ للعاملين والموظّفينَ الخاصّينَ بالفندق.

تبسّمت [سيلا] بسُخريةٍ وقالت لزوجها: "ظَننتِك ثَريًّا لهذا الحَدّ عندما قَبلتُ بِك ولم أعتقِد أنّك فَقير لهذه الدّرَجة".

[كريس] ونَظرُه على المَكان الفَخم حوله: "ما زلت غنيًّا لكنّني أُظهِر لكِ مستواكِ؛ فكل هذا لا تَستحقّين العيش به!".

تَجهّمَت [سيلا] وسارَت مع ابنها حتّى الاستِقبال، خلفَها [كريس]، يَليه الزّوجان وهما يتَحدّثان

[ديفيد] مُبتسمًا: "المَكان هادئٌ يا [سأفانا]".

[سأفانا] وهي مُمسِكة بذراع زَوجِها: "هادئ كهُدوء قَلبِك".

[ديفيد]: "هُدوء قَلبي تَعكّر منذ سَنوات بعاصِفتكِ الهَوجاء".

[سأفانا]: "وهلَ آذيتُه بعاصِفَتي؟".

[ديفيد] وهو يُمسك كِتفَ زَوجته ويُقرّبها منه أكثَر: "بل أسعدتِه برياح قلبٍ آخر كان يَطير معَه".

ابتَسمَت [سأفانا] وهي مُحتَضِنة كِتف زوجِها حتّى وَصلا للاستِقبال ليُنهيا إجراءات غرفتهما. وبعد انتهائهما من الإجراءات صَعدا لغُرفتهما وانتظرا دقائقَ معدودة حتّى وصلَت لهما الحقائب ليَغُطّا في النّوم مُباشرةً.

كانت السّاعة السّادسة والنّصف صباحًا عند دُخول [سيلا] مع زوجِها وابنهما لغرفتهما.
سارَت [سيلا] وهي تَلمسُ الأثاث من تُحَف وطاولة مُبتسمةً بسُخريةٍ بينما كان ينادي عليها [جيرمي] قائلًا: "أمّي! أُريد النوم!".

التفتَتْ له وقالت بتَهكُّمٍ: "فلتَخلُد للنّوم إذًا؟".

[جيرمي] بعُبوس: "لا أريدُ هذا السّرير".

[كريس] وهو يَضحَك: "وماذا تريد؟ سَريرًا مَلكيًّا؟".

سارَت [سيلا] وحَملَت ابنها ثمّ جَلسَت معه على السّرير

وقالَت بهُدوء: "ابني يَستحقّ أكثر من سَريرٍ مَلكيٍّ".

[جيرمي] بينما كانتْ والدته تَمسَح على رأسِه بعد وَضعِها للّحاف على جَسَده: "وسَأحصُل عليه بالطّبع فقَد علّمتِني أن آخذَ حقّي بأكملهِ يا أمّي".

[سيلا] بتَجهّم ونَظرُها على زوجِها: "بالطّبع عليكَ أخذُ حقّك يا بُنيّ".

نهض [كريس] وتوجّه للحمام قائلًا: "سأستَحمّ قبل النوم فلدينا يومٌ حافلٌ غدًا، وأعتقِد يجِب أن تَفعلي هذا الشّيء بعد أن أنتهي".

أغلقَ [كريس] البابَ على نفسِه فقال [جيرمي] لوالدتِه: "ما الذي سَنفعله غدًا يا أمي؟".

أجابَت [سيلا] وهي تَستَلقي كي تنام: "لقَد أشرقَت الشّمس، علينا النّوم".

[جيرمي] بصوتٍ مُرتفعٍ قليلًا: "ما الذي سَنفعله غدًا؟!". ❞

لم تردُّ [سيلا] وأَغمضَت عينيها كي تنام إلا أنها سمعَت شَخير ابنها بعد تَعديل جسَده على السّرير بجانبها ففَتحَت عينيها ونظرَت أمامَها بازدِراءٍ لثوانٍ قبل أن تُغمضَهما مُجددًا وتَخلُد للنوم. استَيقظَت بعد الظَهيرَةِ بسَبَب صوت [جيرمي] وهو يُردّد: "أمّي انهضِي!".

نَهضَت [سيلا] بتَململٍ وهي تقول: "ماذا تُريد الآن؟".

[جيرمي] وهو يَقفِز على السّرير: "انهَضي! أُريد تَناوُل الغَداء!".

خرجَ [كريس] من الحَمّام وهو يُنشّف يَديه بمنشفةٍ صغيرةٍ بيضاءَ بينما كان يَضحَك ويقول ساخرًا: "سيَفوتُنا الغَداء يا أمّي!".

نَهضَت [سيلا] بتَململٍ من على الفِراش وتوجّهَت للحمّام مباشرةً كي تَستحِمَّ بماءٍ ساخنٍ. بعد انتِهائها خرجَت ولم ترَ أيًّا من ابنِها أو زوجها فَعلمَت أنهما هبَطا للأسفل بدونها. بَدأَت بتَمشيطِ وتَجفيفِ شَعرِها حتّى انتهَت ثمّ فتحَت حَقيبَتها الخاصّة وأخرجَت ثوبًا بلونٍ أصفَر امتدّ طولُه حتّى أسفل رُكبتيها بعدما لَبسَته. أَغلقَت الحَقيبَة وتَوجّهَت للأسفل مُباشرةً وبعد وصولها رأَت زوجَها وابنَها يتَناولان الغَداء على إحدى الطّاولات بجانبِ نافذةٍ ضَخمةٍ تُطلُّ على الجِهة الجانبية مِن الفندق، فبَدأَت بالسّيرِ ناحيَتَهما وهي تَنظُر لـ [سأفانا] تأخُذ من يدِ أحدِ الطُّهاةِ طبقًا عليه كُراتُ اللّحمِ وتَعودُ حتّى تَجلِس بجانب زوجها وتقول له بحماسٍ خَفيفٍ: "مُتشوّقةٌ لمَعرفةِ طعمِ كُرات اللّحم هنا!".

[ديفيد] وهو يَحتَسي مَشروبًا امتَلأ بمُكعّبات الثّلج: "أُراهِنُ أن التي تُعدّينها أَلذّ بكثيرٍ".

ابتَسمَت [سأفانا] وقالَت وهي تُحرّك شَفتَيها فقَط قبل أن تأكُل: "شكرًا".

تَبسّمَ [ديفيد] وهو يَشرَب من كأسِه حتّى وَقعَت عَينُه على [سيلا] بعد جُلوسِها إلى الطّاولة مع [كريس] و [جيرمي] وأطالَ النّظَر إليهم حتى لاحظَت [سأفانا] ذلك فالتفتَت للخَلف

وقالت بتَهكّم بعد رُؤيتها لـ [سيلا]: "الشّمسُ مُشرقةٌ بشدّةٍ!".

أجابَها [ديفيد] وهو يضَع الكأس على الطّاولة: "دَعكِ منها، لا تُفرغي أيّ حَقائب أُخرى غير التي فرّغتها بالأمس فنَحنُ لن نُطيلَ البَقاء هنا وغالبًا لن نَستَغرقَ إلّا ساعات عدّة قبل أن نَركبَ الحافلة".

[سأفانا]: "أشعُر بعدَم الارتِياح".

[ديفيد] بوَجه مُتسائل: "لماذا!؟".

رَفعَت [سأفانا] نظرَها لـ [ديفيد] بنظراتِ عَدم ارتياحٍ، في هذه الأثناء كانت [سيلا] تُحدِّقُ في [سأفانا] من الخلف بوَجهٍ مُتجهّمٍ وهي تقول: "حَمقاء!".

لم تَسمَع أيّ ردّ من زوجها أو ابنها فالتَفتَت لهما ورأتْهما يَتناولان الطّعام فقالت [سيلا] لـ [كريس] بغَضَب خَفيف: "ألَم تَسمَع ما قلتُه؟!".

ردّ عليها [كريس] ببرُودٍ: "ما بالكِ أنتِ؟ إنّها مُجرّدُ امرأةٍ كبيرةٍ في السّنّ تَتناوَل الغداء مع زوجها".

[سيلا] بتَهكُّم: "هل تعلَم، ربّما من الأفضل أن أجدَ شَخصًا آخر أتحدّث معَه".

[كريس] ببرُود: "سيَكون أفضل".

[جيرمي] وهو يَرفَع رأسَه لوالده: "أبي؟".

[كريس]: "ماذا يا بنيّ؟".

[جيرمي]: "هل بيلبيجور حقيقيّ؟".

سألَ [كريس] باستِغراب: "ما هذا الشّيء؟"

[جيرمي]: "العجوز الذي ركِبنا معَه أَخبرَني أنّهُ شَيطانُ الكسَلِ، إذا كان هناك شيطان للكسَل فهَل هذا يَعني أن هناك شيطان للنّشاط؟".

[كريس] وهو يتَأفّف بخفّة: "لا أعرِف يا [جيرمي]، لا أعرِف".

استَأنفَ [جيرمي] الصّغير تناوُل الطّعام وهو يُردّد بينه وبين نفسَه: "نحن مُبتعِدون عن الدّين إذًا".

نظرَ الزّوجان بعضهما لبعضٍ لبُرهةٍ بنَظراتِ لَومٍ وجَفاءٍ ثمَّ أبعدا نظرهما عن بعض. كانت [سأفانا] في هذه اللّحظَة تَنتهي من طَبقها مُبتسمةً ابتسامةً عريضةً

وعندما لاحظَ [ديفيد] ابتِسامتَها قال: "يا إلهي هل هو لَذيذ حقًّا؟!". ❞

ضَحكَت [سأفانا] وقالَت: "نعم نعم!".

[ديفيد] مُبتسمًا: "ربّما أتناوَل منها عندما نعود".

[سأفانا] وهي تَنهَض: "هل سنَعود إلى هنا؟".

[ديفيد] قبل أن يَنهَض: "في الغالب نعَم قبل أن نتَوجّه للمَطار".

سارَ الزّوجان بعد نُهوضِهما حتّى عادا من حيث أتيا وقبل أن يَخرُجا دَخلَت المَطعَم فتاةٌ شابّةٌ بشَعرٍ أسوَد فاحِم مَربوط بجَديلَتين مُمسِكة بيدها ذات الخاتم الماسّي يد شابٍّ يافعٍ ووَسيمٍ يَنظُر إليها مُبتسمًا.
كانَت [سيلا] تُحدّقُ في الشّابّ والشابّةِ خُصوصًا يَديهما والخاتم الذي تَلبَسُه الفتاة والتي لاحظَت نظرات [سيلا] لها عندما سارَت لداخِل المَطعَم فتَبدّلَت ملامحُها للتّوتّر الخَفيف. جلسَت الشّابّة والشابّ إلى طاولةٍ تَبعُد أربعَ طاولاتٍ عن عائلة [سيلا] التي قالَت لـ [كريس] بتجهُّمٍ ونَبرَةٍ سَريعةٍ: "متّى كانَت آخر مرّةٍ أحضرتَ لي فيها خاتمًا؟!".

[كريس] وهو يضَع يَديه على رأسِه وبنَبرةِ هُدوءٍ: "لا أُصدّق! لماذا تَنظُرين لجَميع النّاس هكذا كالأفعى؟!".

تَجهّمَت [سيلا] ثمّ نَهضَت من المَكان وخَرجَت على عُجالةٍ بينما كان [جيرمي] يقول لوالده: "ما بها أمّي يا أبي؟".

أجابَه وهو ينظُر حَيث خرجَت زوجته: "هذه المُشكلة يا بنيّ، أنّه لا يُوجَد شيء بها، لا عقلُ ولا قلبُ".

[جيرمي]: "بل أمّي تَملِك قلبًا فقَد سَمعتُه ذات مرّة".

نظرَ لابنِه وقال: "هل انتَهيت؟".

[جيرمي]: "نعم".

[كريس]: "دعنا نذهَب إذًا".

خرَجَا ولَحِقَ بزوجتِه إلى غُرفتهم في أعلى الفندق وما أن فتحَ الباب رآها تَقِف في البلكونة تُحدّقُ في السّماء فتَقدّمَ إليها وقال: "ما الذي تَنظُرين إليه؟".

التَفتَت [سيلا] وقالَت: "السّماء، يبدو الجوّ حارًّا قليلًا".

[كريس]: "إذًا؟".

[سيلا]: "هل سنَصعَد السّفينَة في هذا الجوّ؟".

[كريس]: "وهل تُريدين أن تُمطِر؟".

[سيلا] ببرُود: "لمَ لا؟".

نهضَ [كريس] بتَأفُّف وخرجَ من الغُرفَة عندها عادَت [سيلا] تُحدّق في الخارج فَدَنا منها ابنُها وقال بينما كان يَسحَب ثَوبَها: "متى سنَذهَب إلى الجَزيرَة يا أمّي؟".

[سيلا] بتجهُّمٍ وصوتٍ مُرتفِعٍ قليلاً: "لا أعرِف يا [جيرمي]!".

****

في مطعم الفندق كانت الشابة تُحدّق بالخارج عبر النّافذَة الجانبيّة لها وللشّاب الذي معها بنظراتِ ارتيابٍ حتّى سألها: "ما بكِ يا [سارة]؟".

التفتَت [سارة] له وقالَت بنَظراتٍ قلِقةٍ: "المَرأة التي نهضَت منذ قليل، نَظراتها لنا كانت مُريبَة".

تبسَّمَ [الشّابُ] وقال: "ألَستُ فارسكِ الذي يَحميكِ؟ هذا ما تَقولينه لي دائمًا".

تبسّمَت [سارة] ابتسامةً خفيفةً وقالت: "بلى يا [سام]".

[سام] وعينه على [سارة]: "لا أريد لأيّ شيء أن يُعكّر شَهر عَسَلنا".

[سارة]: "لن يكون هناك بالطّبع لكن نَظراتُها لم تُعجِبني فقط، لنَطلُب الغَداء".

صَمتَ الاثنان لثوانٍ ثمّ قال [سام] وهو يَمُدّ قائمة الطّعام ل[سارة]: "كُرات اللّحم؟".

[سارة] بضِحكةٍ خفيفةٍ: "نعم، كُرات اللّحْم".

طلبَ الاثنان الطّعام وأثناءَ تَناولهما الطّعام قالَت [سارة]: "هل المَسافة بعيدةٌ إلى الجَزيرَة؟".

[سام] وهو يَلوكُ الطّعام في فَمِه: "بصَراحةٍ لا أعرِف لكنّي لا أظنّ أنّها بذلك البُعد".

[سارة] وهي تُواصل تَناول طَعامَها: "ألم تقُل لي بأنّك كتبتَ جدولًا به المَواقيت وجدولنا بأَكملِه؟".

[سام]: "بلى لكنّه في الحَقيبَة".

[سارة] وهي تَزفِر بخِفّة: "أتمنّى ألّا تكون المسافة بعيدةً".

[سام]: "لماذا؟".

" [سارة] بمَلامح مُشمَئزّة: "لأنّي أَمقُتُ البَقاء في البَحر طويلًا".

[سام]: "ظنَنتكِ تُحبّين البَحر".

[سارة] باندفاعٍ خَفيف: "لا! لم أُحبّه يومًا!". "

[سام] بتَعجُّب من اندِفاع زوجتِه: "حسنًا، اهدَئي، وتَناولي طَعامَكِ".

قبَضَت [سارة] على يَديها ووَضعتْهما على الطّاولَة بصَمتٍ.

قبل مَغيب الشّمس بساعةٍ وَصلَ الجَميع لِميناء تِلك المدينَة والذي كانَت تُوجَد فيه باخرات وسُفُن بأنواعٍ وأشكالٍ كثيرةٍ مُختلفةٍ، بعد صُعودِهم على حافلَة أَقلّتهم من الفندق حتّى الميناء. كانت الحافلة مُمتلئةً بمَجموعةٍ كبيرةٍ مِن الأشخاص من نِساءٍ ورجالٍ وأطفالٍ يَتبَعون مُرشدًا سِياحيًّا قادَهم لمكان السّفينَة التي سيَصعَدون عليها بعد نُزولِهم من الحافلة وانتِظارهم لما يُقارِب نصف السّاعة.

سارَ الجَميع على خَشبةٍ عَريضةٍ وهي نُقطَة وَصلٍ بين المِيناء والسّفينة وكانَت آخر من ستَركَب هي [سأفانا] التي وَقفَت تنظُر للبَحر أَسفلَها عبر شُقوقِ خَشبَة الميناء حتّى وَقفَت بجانبها [سارة] وظلّتْ تُحدّقُ في البَحر بنظراتِ ارتيابٍ فقالَت [سأفانا] لها مُبتسمَة: "اعتَدتُّ الخوفَ من البَحر في صغري".

[سارة] وهي تَلتفِت لـ [سأفانا]: "لكنّي لم أخَف منه في صِغري إنّما بدأ خوفي منه منذ مُدّةٍ".

[سأفانا]: "الخوف يتَملّك الشّخص حين يَسمَح له فقَط؛ لذا لا تَسمَحي للبَحر بأن يكون الشّيطان الذي يُرعبكِ".

في هذه اللّحظَة سَمعَت [سارة] صوت [سام] وهو يُنادي عليها من السّفينة فتَبسّمَت لـ [سأفانا] وقالت: "الشّياطين تُرعِبنا حين نسمَح أو لا نسمَح لها فهي في كلّ مكان حولنا كالبَحر بعد قَليل".

[سأفانا]: "ربّما معكِ حقّ يا فتاة".

[سارة] وهي تَمُدّ يدَها لـ [سأفانا]

مُبتسِمةً قبل أن تَصعَد على السّفينَة: "[سارة]".

[سأفانا] وقَد صَعدَت مع [سارة] على السّفينَة: "وأنا [سأفانا]

4

وبَعد أن صَعدَتا استَقبلَهما مَنظَرٌ مَهول من المَجموعات التي بالسّفينَة؛ لم يتوقّع أحدُهم هذا العَدد الكبير، تَركَت [سارة] [سأفانا] واتّجهَت إلى زوجها، و[سأفانا] اتّجهَت لوسَط السّاحة وبدأَت تَدورُ حولَ المَكان للبَحث عن زَوجِها الذي لَديه جميع الحَقائب ولديه مفتاح الغُرفة، خرجَ صوتٌ عالٍ من مُكبّرات الصّوت وكان مُنتشِراً في كلِّ مكانٍ وذا صدًى قويّ: "سيّداتي وسادتي: معكم القُبطان [جارفا هُرمون] أريدُ أنْ أُخبركم بتَفاصيل الرّحلة التي ستَخوضُونها بكلّ راحةٍ وأمانٍ للوُصول إلى جَزيرَة آران، ستَأخُذ سبع ساعاتٍ مُتواليةٍ".

خرجَ بعض التّشويش ثمّ عاد صَوت القبطان: "يُوجَد بارٌ في بالأسفَل وكلُّ ما يوجَد من أنواع المَشروبات فهي على حِسابنا، أتمنّى لكم رحلةً مُمتعةً".

خرجَت صرَخات المُتعَجرِفين الذين يَعشقون جميع أنواع الخُمور بكافّةِ أنواعِها والتي ستتَوفّر لهم اليوم بالمَجّان وهذا عَرض لن يَفوتَ الجَميع، سيَسقط قبل وصولهم إلى الجزيرة وستَحدُث مَجزرةٌ بين المَخمورين...

- "ها أنتَ هنا".

وَجدَت [سأفانا] [ديفيد] في الدّور العُلويّ وكان بجانبه رَجل أسمَر الوَجه ومَيّزَت غِطاء الرّأس المَصنوع من القشّ ويبدو أنه صُنعَ بكلِّ حبٍّ وتذكّرَت أعمال جَدّتها المُشابهَة له، توقّفَت بجانبهما وابتَسمَت للرّجل، وضعَ [ديفيد] يَدَه حَول عُنُق [سأفانا] وقال [ديفيد] وهو يُشير إليها: "هذه زَوجتي التي تحدّثتُ لك عنها، [سأفانا]".

ثم أبعدَ يده بمَسافة بسَيطَة وأشارَ إلى [الرّجل]: "هذا [أركون]، عالم آثار".

ابتَسمَ [أركون] ورَفعَ يَده إلى [سأفانا] ليُصافحَها فقال: "تَشرّفتُ بك سيّدتي، مثل ما أخبرَني زوجك [ديفيد] أنتِ بالفِعل جَميلةٌ".
صافحَها ورأى الابتِسامة التي اعتلَت وَجهَها فقالت [سأفانا]: الشّرف لي بنيّ [أركون] لديك اسمٌ جميلٌ ويَحمل معنًى قويًّا وهو القائد، أعتقِد أنّ لديكَ كَتيبَة تَقودُها"

أجابَها [أركون] وهو يَرجِع للخَلف بمَسافةٍ بَسيطةٍ: "آه هههه كيفَ عَرفتِ بأمر اسمي؟! هذه أوّل مرّة أرى شَخصًا يُقدِّرُ اسمي ويَعرف مَعناه الذي أَطلَقه والدي عليّ، وبالفِعل منذ الصّغر وأنا أُحبُّ قِيادة النّاسِ فهو يَبعَث لي شُعورًا جميلاً، أن يَكون حَولك ناسٌ يَثِقون بك ويَستَمعون لكلِّ كلمةٍ تُطلِقها بلِسانِك ويُقدّرونك بحقّ" .

ارتفعَ غِطاءُ رأسِه قليلاً بسببَ الهَواء القويّ ليُثبّته بيَده ويُعيد تَوازنه فوقَ رأسِه.

[سأفانا]: "جميلٌ يا بنيّ، الثّقةُ تُكتَسبُ؛ لهذا لا تَخذل أيّ شخصٍ يثِق بك لأنَّ الثّقَة تَأتي مرّةً واحدةً ولا تُعادُ مرّةً أُخرى".

صَمتَت قليلاً ومَسكَت يد [ديفيد] وضَغطَت عليها ثمّ أَكملَت: "أَخبِرني هل أتيتَ لشَهر العسَل مثل مُعظم الّذين أتوا؟".

ابتَسمَ [أركون] وكادَ يُجيبُها، ولكن صَمتَ بعد أن اندفعَ [ديفيد] بحَماس وتَحدّث: "لقَد أتى هنا لاستِكشاف حَجرَ ألارزايا والذي يَحمِل أُسطورةً مُخيفةً!".

وضعَ [أركون] يدَه خلفَ رأسِه وبدأَ يَحكّه بتَوتّر: "لم يَعُد هناك شيءٌ سِريٌّ على الإطلاق!".

اندَفعَت [سأفانا] لتُدافِع عن [ديفيد]: "أَعتذِر عن وَقاحَة زوجي فهو مُندفعٌ كثيرًا ناحية هذه الجَزيرَة فكان يبحَث عنها كثيرًا ويَجِد المُتعَة بالبَحث عن جميع أَساطيرها...".

تَوقّفَت عن الحَديث بعد أن رنَّ هاتفٌ بجيبِ [أركون] فأخرجَه بسرعةٍ ثم أجاب على المُتّصل وابتعدَ قليلًا: حسنًا إلى الآن كلُّ شيءٍ بخيرٍ.... نعم لا تَقلَقوا كلُّ شيءٍ على ما يُرام... ماذا!؟.... ولكن كيف عَرَفوا بأمرِه بهَذه السّرعَة؟!... خائن؟ ... من الخائن؟!!"،

بدأ [أركون] يَبتعِد عنهما إلى أن اختَفى....

- "حسنًا يجِب أن تَتوقّف عن الحديث عن أسرار النّاس!".

قالتْها [سأفانا] وهي تنظُر لزَوجِها وبأسفل رِجلها حقيبتها التي امتلأَت بملابسها الكثيرَة، بَدأ [ديفيد] يُدافع عن نفسِه: "ولكن هو من بدأ يُخبرني عن أسراره ولم يَكُن يَعرفني كثيرًا ولا أعتقِد أن هذا سرّ، لو كان سرًّا ما كان يجِب أن يُخبرَني به!".

نَهضَت [سأفانا] من مَكانها وتَقدّمَت أمام [ديفيد] وقالَت: "إذًا تُخبِرني أنّك لا تَستحقّ الثّقَة التي وَهبَها لك هذا الشابّ اللّطيف وهي إخبارك بعض الأشياء التي تَخُصّ عمله ومن المُمكن أن تكونَ سريّة للغاية، يجِب أن تتَعلّم ما يجِب أن تقوله وما يجِب أن لا تَقولَه بكلّ مكان وكلّ ثانية وساعة هل فَهِمت؟".

بدأَت بالتّراجُع إلى أن سقطَت على السّرير وأمسكَت برأسِها وضَغطَت بقُوّة

قالَت [سأفانا] بصَوت خافِت ومُتألّم: "الصُّداع، لقد عاوَدَني يا [ديفيد]، اجلِب حَقيبَتي الصّغيرَة".

ابتعدَ [ديفيد] وذهبَ إلى حَقيبتِها وحَمَلها بسرعةٍ وبدأ بإخراج جَميع مُحتوياتها وبعد ثوانٍ مَعدودةٍ وجدَ كَبسولةً مُتوسّطةَ الحَجمِ شفّافة وبداخِلها حُبوبٌ مُتنوّعةٌ، أخرجَ من كلِّ نوعٍ منها حبّةً ثمَّ ذهبَ إلى زوجتِه وفتحَ يَدَها ورفعَ جسدها ليَجعلَها تَجلِس على على طرَف السّرير ثمّ ذهبَ إلى إبريقِ الماء وأمسكَ بالكوب الذي كان مَعكوسًا رأسًا على عقِب ثمّ بدأ يَسكُب به الماء وبَدأَت يَداه بالارتِجاف خوفًا على حَبيبَتِه وزوجتِه [سأفانا]، جلسَ بجانبها وأمسكَ بيدها التي كانت الحُبوب بها وجَعلَها تَبتلِعها ثمَّ جلبَ يدَه الأُخرى وبدأ يُشرِبُها الماء لِتَنزِل الحُبوب إلى مَعِدتِها....

5

- "اسكُب لي بعضَ الفودكا وضَع بعض العنَب فوقَها واعصِر اللّيمون فوقَه ولا تَخلِطه أرجوك".

التفّ [سام] إلى [سارة] وقال لها: "المُعتاد؟".

أَومَأَت برأسِها مُوافقةً فالتَفّ إلى النّادِل وقال له: "مِياه غازيّة بنَكهَة الفراولة أَرجوك".

ثمّ التَفتَ إلى زوجتِه وابتسمَ لها ورحلَ النّادل عنهمَا ليَجلبَ طَلبَهما، رفعَ يَده والتي دُون سابِق إنذار انجَذبَت إلى خَدّها وبَدأَ يَستَشعِر مَلمَس خدّها النّاعم واللّطيف، قالَ لها بكلِّ صدقٍ: "أحبّكِ".

تنهّدت [سارة] وبدأَت دقّات قلبِها تَزداد قوّةً، بدأَ [سام] يُقرّب وَجهَه أمامَها ليُقبّلها وقال بصوتٍ مُثير: "وَجهُكِ مُثير للتّأمّل والتّقبِيل".

ولكن يُقاطِعهما النّادل الذي وضعَ الكُوبَين بقوّةٍ ليُخرِج صوتًا عاليًا ويُفزِعهما وكأنّه تَعمّد فِعل هذا، التَفّ [سام] إلى النّادل ونظرَ له بحِقدٍ وبعض الغَضَب ولكن اختَفى كلُّ هذا الغضَب بعد أن سَمعَ الجملة التي جَعلَت نارَ قلبِه تَنطفِئ: "وأنا كذلك أُحبّك يا عَزيزي [سام]".
أمسَكَ بالكوب وبَدأَ بالشّربِ بنَهمٍ شَديدٍ، وأرادَ أن يُطفئ نَهَمَ الغضَب الذي تبقّى منه القَليل..

- "هل أنتمَا عروسان جَديدان؟". "

قالها عجوز جلسَ بجانبه وابتَسَم، التفتَ [سام] إليه وابتسمَ ابتسامةً اصطناعيّةً وقال: "نعم للتوّ تزوّجنا بعد أن قَضينا سنينَ كثيرةً هائمَين بحُبّنا".

[العجوز]: "أهه، لديكِ زوج رُومنسيّ".

قالها لـ[سارة] وابتسمَ ثمّ أجابتْه بسرعةٍ: "نعم بالتّأكيد فأنا مَحظوظةٌ به، القدَر أرشدَني إليه، ولقَد اعتنقتُ هذا القدَر بقَلبٍ واسعٍ وتقبّلتُ كلَّ الخَطايا التي أحاطَت به وكلّ الذّكريات البائسة التي لن نَنساها والأيّام التي ستَظلّ بعَقلنا تَدور لتُذكّرنا كيف كُنّا مُتمسّكَين بعضنا ببعضٍ".

تَضايقَ [سام] من كلام [زوجتِه سارة] وتذكّرَ جملةً سَمعَها مِن شخصٍ عزيزٍ عليه وقالها دون شعورٍ: " كيف لنا أن نَستنشِقَ النّسيان والهَواء مُلوّث بالذّكريات فهي تُجبرُنا لنَتذكّرها وكأنّها تَلعنُنا على أفعالنا البَغيضَة والتي نُجهِدُ أنفُسنا لنِسيانها لنَستَطيع فتحَ صفحةٍ جَديدةٍ ستَمتلِئ بالذّكريات اللئيمَة".

رفعَ [العجوز] كِلتَا يديه ونهضَ من مَكانِه وقال بصوتٍ مَسموعٍ: "لَديكُما مُشكلةٌ يَجِبُ حلُّها قبل أن تَتفاقَم!".

نظرَ [سام] إليها وعَلامات الاستِغراب بوَجهِه: "أعتقِد أنه شرِبَ كثيراً". ❞

ثمّ ابتسمَ بوَجهِها وبدأ يتَمعّن بتَفاصيلها الفَريدَة، ولكن الذّكرى التي تُلاحِقها ليسَت جميلةً؛ فهي فاصلٌ لحَدثٍ غيّرَ مَجرى حَياتهما إلا أنَّ تَمسّكهما ببعضٍ هو ما جَعلهُما معًا بهذا اليوم وفي هذا المَكان والوَقت...
لم تردّ [سارة] الابتِسامة له، نَهضَت وابتَعدَت بصَمتٍ غير مُعتادٍ وكأنَّ الماضي زارَها، نهضَ [سام] خَلفَها، أمسكَ مِعطَفِه ولَبسهُ وأخذَ حَقيبةَ [سارة] التي تَركَتها على الطّاولةِ، بدأ بالرّكضِ في الجِهَة التي ذَهبَت إليها ولكن التّجمُّعات التي مَلأت المَكان والزّحام قد شوّشَتهُ عن إيجادِها، أخذ بضع دقائق ليَبحثَ عنها وقال [سام] في نفسِه: "اللّعنة على هذا!".

التفَّ ليَعودَ إلى غُرفتهِ وبداخلِهِ شُعلةٌ تَزدادُ شَرارةً كلّمَا تَكرّرَ مشهدُ نهوضِ زوجتهِ، بمُنتصفِ طريقهِ ودون سابقِ إنذارٍ سمِعَ صوتَ صرخةٍ: "ابتَعِد عنّي".

التفتَ [سام] إلى مَصدَر الصّوتِ ورأى رَجلاً وامرَأتينِ

قال [سام]: "هييه!! ابتَعِد عنها!". "

بدأ يَركُض نَحوَهم ولمّا وصلَ دفعَ [الرّجل] الذي يضغطُ على عُنُق [سارة] وأَسقطَه على الأَرض وكانَت [امرأةٌ] أخرى بجانبه، رفعَ قَبضةَ يدهِ ليَضربَها، ولكنّهُ توقّف فجأةً مَذهولًا،

أنزلَ [سام] يدَه بتَوتُّرٍ وقال: "أنتِ؟!!".

أجابتْه [المَرأة] بغَضَبٍ: "نعم إنّه أنا أيّها اللّعين!".

ثمّ بَصقَت [المرأة] بوَجهِه: "هذا من أجلِه!".

ابـتَعدَت [المـرأة] قـليلاً، ولـكن [سـارة] لـم تَتحـمّل المَشهَـد وتـقدّمَـت نَـحوَهـا وضَـربتْها على خدّها بقوّةٍ لتَبتعدَ [المرأة] للخَلف كثيراً وانطَبعَت كفُّ [سارة] عـلى وَجـهِها، نـهضَ [الـرّجـل الآخـر] لـيَتَعارَكَ مـع [سـام] ولـكن بـدأ الـحُشود يتجـمّعونَ حـولـهم ولـم يَـأخـذوا ثـوانـي مَعدودة حـتّى تَدخّلت مجـموعـةٌ مِن الأمن قبَضوا عليهم وكبّلوهم، لم يَهدأ بالُ [سام]، كان يُحاول فكّ نفسهِ من الأكبال ولكن كانَت أقوى مِن أن يَقطعَها بيَديه، جَرّهم

[رِجـال الأمـن] إلـى غُـرفـة الـقُبطانِ وأجـلَسوهـم حَـول طـاولـةٍ مُـربّـعةٍ وحـولـهَا الـعديدُ من الكراسي الخشبيّةِ الصّلبةِ والتي كلّما طال جُلوسُك عليها آلَمَتْك مؤخّـرتـكَ، دخـلَ مُـساعـدُ الـقبطان ثـمّ دخـلَ [الـقُبطان] وكـان يَـلبس مَـلابـسَ رياضيّةً من شَركة 'نايك' ولديه جِسم رياضيٌّ بحتٌ، والعرَقُ يَنزل منه بَكثرةٍ، تـقدّم المساعد الذي بجانبِه وسلّمه منشفةً مُتوسّطةَ الحجمِ وبدأ بتَنشيفِ وَجـهِه ثمَّ أعـادهـا إلـى المُساعِد، تـغيّرت مَـلامـحُ الـقُبطان وبـدا الـغَضبُ عـلى وَجهِه فقال: "هل يُمكنُكم شَرح ما يَحدُث هنا؟".

تحدّث الجميع بصوتٍ واحدٍ:

[الرجل]: "إنّهما مُجرمان".

[المرأة]: "لقَد قتَلا ابني".

[سام]: "إنّهما كاذبان".

[سارة]: "لقَد أخذنا العُقوبَة التي طلبَتْها منا المَحكمَة العليَا!".

صَرخَ [القُبطان] بانزعاجٍ: "تَوقّفوا!!".

صَمتَ الجميع وبَدا المَكان أكثر هدوءًا،

نظرَ إلى [المَرأة] وقال لها: "تَحدّثي بسُرعةٍ".

[المرأة]: "إنّهما مُجرِمان ولا يَستَحقّان الحُضور هنا!".

رفعَ كِلتَا يَديه وقال بصوتٍ عالٍ: "حسنًا حسنًا أنا لا أفهَم شيئًا".

أشار [القبطان] إلى [سام] و[سارة]: "كيف أنتُما مُجرمان؟".
ضربَ [سام] الطّاولة ونهضَ ثمّ نظرَ إلى الرّجُل وقال: "سيّدي القُبطان لا أُريد الدّخول بالتّفاصيل، ولكن كانت لدينا قضيّة مع هَذَين المَعتوهَين وتمّ دَفع كلّ المُتطلّبات التي أراداها منّا، أَخذَنا عُقوبتنا ثَلاث سنوات سِجن وجُدِّدَ سِجلّنا المَدنيّ واستَطعْنا إخراج هُويّة جديدةٍ مُصرّحةٍ من الدّولةِ!".

تحدّثَ [القبطان] بجديّةٍ: "حسنًا أنتُم تَعلَمون أنّكم بدولةِ إسكُتلندا والنّظام مُختلفٌ عن نِظامكم ولهذا يجِب احترِام جَميع القوانين التي لَدينا وأتمنّى أن تَنسوا الخِلاف الذي بينَكم وتَتركُوا هذه الرّحلةَ تمرُّ بسَلامٍ!".

أشارَ إلى [المَرأة] وقال لها: "أفصِحي عمّا في دِاخِلك لكي نُنهي كلَّ هذا".

أنزلَت رأسَها ورأى [القُبطان] بعضَ الدّموع تَسقُط من عينيها، تقدّمَ [زَوجُها] لها ووضعَ رأسَها عِند صَدرِه،

تنفّسَت بثقل ثمّ رفعَت رأسَها وقالَت [المرأة]: "لا أستَطيع الإفصاح عمّا أشعُر به بشكلٍ كاملٍ، كما لا يُمكنني مُحاولةُ ذلك، يَنبَغي أن يَبقى دائمًا شيءٌ مَجهولٌ في داخل الإنسان، ما فَعَلاه بداخلي ليسَ بشَيء هيّن لقد قَتلا ضِلعًا منّي وتَركاني وَحيدةً في هذه الدّنيا أدفعُ ضَريبةَ سُكرِهما وجُنونِهما اللّعين!".

لم يتَحمّل [سام] هذا الجُنون الذي يَحدُث فطلبَ من القُبطان أن يفكَّ عَنهما القيود ويَسمَح لهما بالذّهاب، قام القبطان بتلبيةِ طلَب [سام] بعدَ أن التَمسَ الهُدوءَ عندَ الزّوجينِ المَنكوبَين، أَمسكَ [سام] بيَد [سارة] وسَحَبها ليَخرُجا من غُرفَة القُبطان،

سَمعَ صوتًا من خَلفِه وكان عاليًا جدًا: "اللّعنَة عليهما لقَد قَتلا ابني!!!".

وهُما بالرُّواق يَمشيان بخُطواتٍ سريعةٍ بدأَت [سارة] تَتنهّدُ بقوّةٍ، نظرَ [سام] إليها، كانت تَبكي، توقّفَ للَحظةٍ وَحضَنَها بقوّةٍ وبدأَ يُربّت على ظَهرِها: "لماذا أنتِ صامتة هكذا؟"

[سارة]: "كيف.. كيف يُمكنك أن تتعاملَ مع شَيءٍ مثل هذا وكأنّه لم يَحدُث قطّ؟ أنا لا أتحمّل أُريدُ أن أَرميَ نفسي في البَحر وأترُكَها تَغرَق في هَذَيان خَطيئَتي وأُريدُها أن تُعاقبَني طِيلةَ حَياتي".

ابتَعدَ عَنها قليلاً وأمسكَ بكَتِفها وقرّب وَجهَه من وَجهِها ليَقول لها [سام] بصوتٍ مَليء بالألم: "أنا آسِف أنّني خَذلتكِ وتَركتكِ هكذا، كان يجِب أن أعرِفَ شُعورِكِ حيالَ هذه الحادِثة فأنا أنانيٌّ، أَعتذِر لك يا [سارة]".

احتَضنَها مرّةً أُخرى

قالَت [سارة] بصَوتٍ خافتٍ مَسموع: "لا بأس إن خَذلتَني فأنا أيضًا خَذلتُ نفسي، أنا بحاجةٍ إلى ذاك الهُدوء، أحتاج إلى لَحظاتٍ مَليئةٍ بالصّمت حتّى أستَطيع أن أجدَ نَفسي من جَديد".

ابتَعدَ [سام] عنها والتفَّ ليَعود إلى غُرفتهما ودُموعُها تَتساقَط من خلفِه، سقطَت [سارة] على رُكبتَيها وبدأَت تَضرِب الأرض بقوّةٍ وكأنّها تُعاتِبُها على حَملِها، ولمَ لم تَتركها تَغرَق من أوّلِ مَوجةٍ تأتي إلى السفينةِ! بعد عَشر دَقائق نهضَت من مَكانها واتّجهَت إلى مؤخّرةِ السّفينةِ لتَختليَ بنَفسِها واتّكأت على الحَدائد، لقد كان بقَلبها شيءٌ كبيرٌ مَفقودٌ بعد الحادِثة؛ كلّمَا أغمضَت عَينَيها تكرّرَت على مَرآها وكأنّها لعنةٌ لا تُريدُ أن تَرحلَ منها وستَظلُّ نَدبةً بعَقلِها، تنفّسَت الصّعداء وأغمضَت عينيها وبدأَت تُغنّي بصوتٍ ناعمٍ وخافتٍ وكأنّ كلَّ حَرفٍ يَخرُج منها يُجدّدُ شُعورَها:

"يا بحرُ قلْ لي متَى الأمواجُ تحمِلُني

أنا الغَريبُ فلا أهلٌ ولا وَطَنُ

قَلبي هنالك لم يَبرحْ مَرابَعَهُ

والحالُ أنّي كما الأمواتِ لي بَدَنُ

أمشي وطَرفي كَليلٌ لا يَرى أبدًا

غيرَ السّوادِ فلا حُسْنٌ ولا حَسَنُ

العمرُ ضاعَ بذِي الأسفارِ يا أسَفي

والأصلُ ضاعَ وضاعَ المُهر والرّسَنُ"

سَمعَت [سارة] صوت خطوات خلفَها التفتَت بتوتُّرٍ ورأَت أمامَها [سأفانا] العَجوز التي التقَت بها بداية ركوبِ السّفينةِ، ابتسمَت [سارة] ورفعَت كفّ يَدها ومَسحَت دُموعها،

تقدّمَت [سأفانا] وكانت تَلبس مِعطفًا ثقيلاً وأظهرَت على مَلامِحها بعض التّعاطُف نحوَها: "هاي... ماذا بك يا فتاة... أأنتِ بخير؟".

وَصلَت بجانبها وأكملَت: لديكِ صوتٌ مُذهلٌ".

أخرجَت [سارة] ضحكةً طفوليّةً وقالت: نعم أنا بخير شكرًا لسؤالك، وهذه التّراتيل كانَت والدتي تُغنّيها لي قَبل النّوم وتُقبّلني قبل أن تَرحَل، ولكن نسيَت في أحد الأيّامِ أن تقبّلني ورَحلَت للأبَد وتَركَتني وَحيدةً أبحث بين أكوامِ ذِكرياتي عن هذه القُبلة ولم أَجِدها".

نزلَت دَمعةٌ على خدّها وكادَت تَصِل للنّهاية وتَسقُط ولكن [سأفانا] رفعَت يَدَها ومَسحَت الدّمعَة وقالت: "الخَيبات لا تَعرِف رَجلاً من أُنثى ولا طفلاً من بالغ، إنّها تَقتُلنا جميعًا على حدٍّ سواء، حاوِلي أن تَفتَحي صفحةً جديدةً لتَعيشي بها أجمل حياتك".

قالت [سارة]: "كلّما فتحتُ صفحةً جديدةً، وَجدتُّها مُمتلئةً بالأحداث السّيئةِ، كأنَّ حياتي كتابٌ ألّفهُ شَخصٌ آخر".

أتَت لـ [سأفانا] لسعةُ بَردٍ جَعلتْها تُدخِلُ يديها بمِعطَفِها وقالت لها: "يجِب أن تَعرِفي أنّه لكلّ لحظةٍ سيّئةٍ تأتي لَحظةٌ سعيدةٌ".

ردّت [سارة]: "أنتِ لا تعرفين ما أمرُّ به، أَصبحَت تُخيفُني اللّحظات السّعيدة، غالبًا نِهايتها مُؤلِمَة".
وضعَت [سأفانا] كفّ يَدِها على كتفها وقالت: "إذًا أخبِريني بكلِّ شيءٍ". كادَت أن تتَحدّث، ولكن خرجَ ضوءٌ مِن مَكانٍ بعيدٍ، ظهرَ رجلانِ يتقدّمان نَحوَهما بخطواتٍ سريعةٍ، تَحدّث أَحدُهما وبَدا الخَوف عليه: "سيّدتيَّ يجِب عليكما العَودةُ إلى غرفتيكما، بعد نِصفِ ساعةٍ سنَدخل بعاصفةٍ قويّةٍ والأمواج ستَلطِم كلّ شيءٍ أمامها ولهذا وَجبَ تَحذِيركما".

التفتَت [سأفانا] إلى [سارة] وقالَت لها: "أعتقِد سألتَقي بك في الجَزيرَة".
ابتَسمَت ورحلَت بمسافة قصيرةٍ بسيطة وتحرّكت [سارة] بعدها ولكن التَفتَت [سأفانا] إليها وقالت بصوتٍ مرتفعٍ: "أرجوكِ لا تَدعِي شيئًا يُدخِلُ الضّيقَ لقلبكِ".
ابتَسمَت [سارة] وأكملَت طَريقَها إلى غُرفتِها.

6

- "لقَد عُدتّ".

قالتْها [سأفانا] وهي تَدخُل إلى غُرفتها، أغلقَت الباب خلفَها وشغّلت الأضواء، نظرَت للسّرير، كان نائمًا ويشخّر بصوتٍ عالٍ، أغلقَت الإضاءةَ وذهبَت لطاولتها ثمَّ أمسكَت بحَبلٍ صَغيرٍ وسَحبتْه لتُضيءَ الطّاولةَ، أخرجَت دَفترًا صغيرًا مَكتوب عليه: "يومياتي"، فتَحتْه من المُنتصَف وأمسكَت بالقلَم الأسوَد وبدأت تكتُب...:

"إنَّهُ مُنتصَف اللّيل، والوَضعُ يَزدادُ سُوءًا، والحَرب مُستمِرّة بِداخِلي كنارٍ لا تُريدُ أنْ تَنطَفِئَ، وأنا أتأرجَح بين ألف معركهٍ تَقتُلني في عقلي، وألف كَسرٍ يُعذّبني في قلبي، وأُكابِر وأُردّدُ: لا بأس أنا بِخير، وأنا لستُ بِخير، لستُ أدري كم روحًا لديَّ كي أتحمّل هذا المُنتصَف اللّعين، الذي لا يُريد أنْ يتركُني وشأني لم أنَم حتّى الآن مِن شِدةِ لَذْع ووَخز حَرارة أفكار هذهِ اللّيلة اللّعينة، أشعرُ بِفوضى برأسي وصُداع يَقتلُني ويُمزّقني إلى أشلاءٍ مُبعثرة، لا أستطيع جمعها، أنا مُتعبَة، وأصارعُ نفسي في كُل ليلةٍ".

- "هل عُدتِ؟".

سَمعَت الصّوت من خلفها التفّت ورأته يُبعِدُ الفراشَ ويَنهَض ليَتقدّم نَحوَها، وما إن وصلَ إليها قبّل رأسَها وقال: "أأنتِ بخيرٍ؟".

رفعَت رأسَها ونظرَت إليهِ وأجابتْه: "نعم أنا بخير".

تَغيّرت مَلامِح [ديفيد] إلى الضّيقِ وقال: "لا تُحاولي أن تَخدَعيني أعلمُ أنكِ لَستِ بخيرٍ".

أشارَ إلى دَفترها وأكمل: "الحبّ الذي لا يَشمَل الصّدق لا يَستحقّ أن يُطلَق عليه اسم الحبّ... انظُري لهذه الجُملة التي أنتِ كتبتِها لماذا لا تُطبّقينها؟... أَلستِ تُحبّينني كثيرًا أم كلُّ هذا خِدعَة أُخرى؟".

مَدّت [سأفانا] يَدَها إلى وجه [ديفيد] وقالَت له: "بعضُ الأمور التي نكتُبها لا تُشاركنا الرّأي الذي يَطرَحه عَقلنا، ولكن أفعالنا هي الدّليل المُثبتُ على حبّي لكَ، انظر للشّيء الإيجابي بكلّ هذا".
مدّت يدَها الأُخرى إلى الدّفتر وبدأت تلفُّ الورَق إلى الوَراء إلى أن توقّفَت وقالَت له وهي تبتسِم: "انظُر".

لـم يتَحـمّل وَجـهَه كَـبتَ الابـتِسامـة الـتي بـداخِـله وأطـلَقها عـندمـا قـرأ كـلّ الاقتِباسات التي كُتبت من أجلِه...

أشارَت إلى الدّفتر: "هذا ما أكتُبه لك".

نَهضَت وقَبّلت خَدّه: "وهذا ما أفعله لك".

تَراجـعَ [ديـفيد] لـلوَراء وجـلسَ عـلى طَرف السّريـر ونـظر إلـيها نـظرةً تَـفهمها كثيرًا، ضَربَ على طرَف السّرير عدّة ضرباتٍ لتَنهضَ [سأفانا] وتذهَب إليه .

الجزيرة

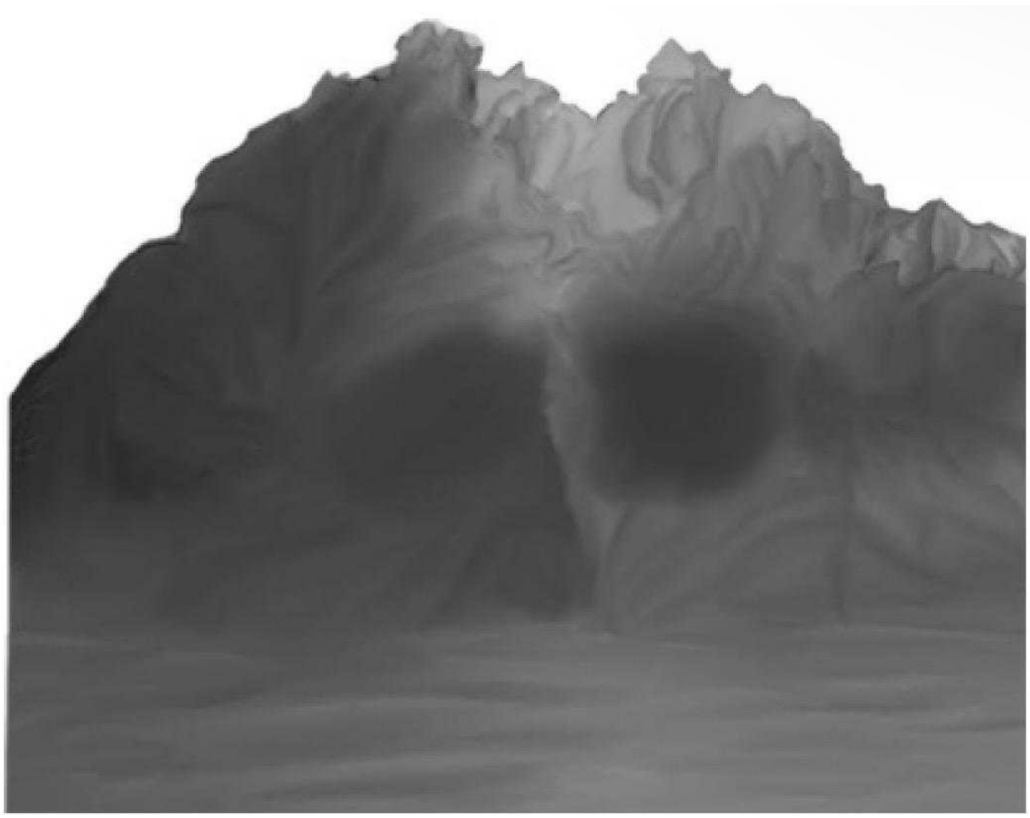

نَهضَت على صوتِ طرقِ الباب، أَبعدَت الفِراش عن جَسدها لتَستقبِلها لَسعةُ هواءٍ باردةٍ، لِبسَت رَوبَ النّومِ وفتحَت الباب لتَفرُكَ عينها: "سيّدتي تَبقّى ساعة للوصول ومائدتك جاهزة للفطور".

نظرَت لها وكانت فتاة يافعَة جَميلَة لَديها شعرٌ أحمر ووَجهٌ دائريّ وتضعُ بعض المَساحيق التّجميليّة: "حسنًا شكرًا لك، لا أعتقِد أننا نُريد أن نأكلَ في السُفينَة... أكلُكم جميل ولكن نُريد أن نتذوّق مأكولات الجَزيرَة فزوجي مُتشوّقٌ جدّ".

ابتَسمَت [الفتاة] وقالَت لها: "أتمنّى لكما شَهرًا مُميّزًا وأتمنّى أن تَستمرّ علاقتكما للأبد.. سأَدعُك وأرحل".

ابتسمَت [سأفانا] لها وقالَت: "شُكرًا".

أغلقَت الباب ثمّ ذهبَت للحمّام لتُشغّل المياه على حَوض الاستِحمام ثمّ ذهبَت لتأخذ بعض الملابس...

خرجَت من الحمّام والبُخار يتَصاعَد من خَلفها ورأَت [ديفيد] جاهزًا ومُستعدّا كُلّيًا للخروج من الغرفة لرُؤية أطراف الجَزيرَة وهي تتّضح كلّمَا اقتَربوا منها بالسّفينة

- "أأنتِ مُستعدّة؟".

قالها [ديفيد] وهو يَقترِب من [سأفانا] إلى أن أَمسكَ بيدها، أَومأَت برَأسها بابتِسامةٍ جميلةٍ، أَمسكَ بالمِعطَف المُعلّق وبدأ بتَلبيسِها بكلِّ حبٍّ ولما انتهى أمسكَ بيَدها وخَرجا للخارج، بدَءَا يتَمشّيانِ بهدوءٍ عند الرّواقِ، لم تَصعَد الشّمس فوق السّماء كليًّا ولكن كانَت كافيةً أن تُريَهما جُزءًا من الجَزيرةِ، تنهّدَ [ديفيد] وضَغطَ على يد زَوجتِه وقال: "الحُلم على وَشك التَّحقُّقِ".

لم تُبدِ علامة التألّم على وَجهِها، أجابته: "حُلمنا يا [ديفيد] حُلمنا".

أكمَلا المَشي إلى مُقدّمةِ السّفينةِ، كان الجَميع واقفين يَنظُرون إلى السّماء وهي تُشرق والجَزيرَة وهي تَظهر للعلَن، أبعدَ يَده عن يد [سأفانا] بهُدوءٍ وبدأ يُصفّقُ بكلّ حماسٍ وبدأَ شخصٌ آخر يصفّقُ خلفَه وآخر وآخر إلى أن بدأ الجَميع يُصفّقونَ بحرارة ودون سابق إنذارٍ خرجَ صوتُ صرخةٍ عاليةٍ تَردّدَت خلفَها جُملة: "أيّتها السارقة! إنّها قِلادتي سقطَت منّي!!".

التفَّ الجميع لمَصدر الصّوت وكانت [سارة] متوقفة بجانب [سيلا] و[كريس] وابنهما، بدأ وجه [كريس] يَرتاب ويتَعرّق من شدّة المَوقِف المُحرِج الذي حدثَ له، همّت [سأفانا] بالدّخول بين الحُشود الذين يَنظرون لهمَا بتَوجّس لمَعرفَة ما يَحدُث، وَصلَت بجانب [سارة] وفي اللّحظة نفسها أتى [سام] أمسكَ بيدها وقال بصوت متحشرج: "اهدَئي يا فتاة".

أبعدَت [سارة] يدَ [سام] ورفعَت يَدَها نحو عُنق [سيلا] وأمسكَت بالقِلادة وسَحبتْها لتَنقطِع، قبضَت على القِلادة بيَدها وسَحبَها [سام] بعيدًا عن الجَميع ولم تَكتفِ [سيلا] بالصّمت

وقالت [سارة] بصوتٍ عالٍ: "تبًّا لكِ أيّتها الحَقيرَة".

7

وحِينما كان الإنسانُ عاجزًا عن الوَصف، اختَرعَ الفنّ، مارَسَ العادات للهَرَب من مأساة العَجز عن التّعبير، ثمّ استخدمَ الأحجار وأَصباغ الأشجار للرّسم نوعًا من التّعبير، ثمّ أخيرًا عاد لِما جُبِل عليه، البَحث عن العِناق، بَكى وانتَحَب، والتزمَ الصّمت كنوعٍ من التّعبير عن الشّعور بالعَجز، وكأنّه طِفل يَنتظِر شيئًا ما، خَفيًّا يَخرُج له وَحدَه ليُبعِده عن ماضيه الأَليم ويُسلّمه الشّيء الذي فقَدَه طِيلَة عُمره وهو النّسيان، فهو كِذبة لنُوهِمَ أنفُسَنا بِها والحَقيقَة أنّنا مَليئون بالتّراكمات المَنسيّة التي حَرمَت ملامِحَنا البَسمَة؛ عِش لحَظات ضَعفك كما المُفترَض، ابكِ في الوَقت الذي تَحتاجُه، ارفُض ما يُؤذيك وكُن لروحِك دَواءً لا داءً!

رحلَ الجَميع عن [سيلا] وزَوجها البائس الذي احمرّت وَجنَتاه من المَوقِف الذي حدَثَ لهمَا، عادَا إلى غُرفتِهما ودَفعَها على السّرير بقوّةٍ لتَسقُط وبَدأ يَصرخُ عليها: "أهذا ما تُريدينَه! أن تَجعلي سُمعَتي سَوداء مِثل قلبك؟ ألا يَكفِيك ما فعلتِه قبل شَهر واحد أمام عائلتي والآن تَفعَلينها من جَديد أمام أُناسٍ لا نَعرفهم!"

. نَهضَت [سيلا] من السّرير وصَرخَت بوَجهِه: "هل تَعتقِد أنّني سارقة! أنا لم أَسرِقها، لقَد وَجدتُّها على الأرض وأخذتُها، ليسَ لديّ مَصلحةٌ لسَرقَة قِلادةٍ قبيحةٍ مثلها ولكن قرّرتُ أن ألبسَها لكي يَجِدها صاحبها حول عُنُقي فيُخبرني أنّها له فأُعيدها إليه..!".

ابتسمَ [كريس] باستِهزاء: "هل تَعتقدينَ أنني سأُصدّقُ الكِذبَة! أنتِ مُجرّدُ لَعينةٍ صَدّقتها في الماضي وخانتْني في الوقت الحالي، أنتِ عارٌ عليّ".

أشارَ إلى ابنِه وقال: "تبًّا لابنِك الحَقير، لم أقدِر على تَربيتِه بالشّكل المُناسِب ولن أقدِر أن أتحمّل أكثر من هذا، لا أُريد رُؤيتكما طِيلَة فترة الرّحلة، أُريدُ أخذ إجازةٍ منكما ومن أفعالِكما اللّعينة.!!!!".

ذهب لحَقيبَته وأمسَكَها بحِدّةٍ وذهبَ لمَقبَض الباب وفتحَه بقوّةٍ ليَضربَ الجِدار ويَبتعد عنه،

اتّجه لمُقدّمة السّفينة وقال بصوتٍ عالٍ: "اشهَدوا جَميعكم!".

التَفتَ الجميعُ إليه وأصبحَ المَكان أكثر هُدوءً: "أُبرّئُ " نفسي من أفعالِ زَوجتي طِيلَة فترة الرّحلة..".

تَنهّدَ بقوّةٍ وكأنّه نَفثَ همًّا بداخل قلبِه، خرَجَ [ديفيد] من بين الحُشودِ وبدأ يَقترِب من [كريس] بخُطًى سَريعَة وما إن وصلَ إليه أَمسكَه من يَده وابتَعدا وأَخذه إلى مُؤخّرة السّفينة مُبتعدَينَ عن الحُشود .

قال [ديفيد]: "حسنًا يجِب أن تُهدِّئ بالك ولا تُضايق نفسَك، ما حدَث قد حدَث وهذه غَلطَة لن تَتكرُر بالتأكيد عندما تتَحدّث مَعها بهُدوء".

هَدأ [كريسَ] قليلاً وأجابَ: "أنتَ لا تفهَم، زَوجَتي لن تتعلّم، لقَد حَملتُ الكَثير بقَلبي ولن أتحَمّل أكثر من طاقتي".

وضعَ [ديفيد] يده عند كِتف [كريس]: "أنتَ أقوى مِن أن تَقولَ هذا الكلام لم يكُن يَجِب أن تَصمُت طِيلَة الوقت وأنت ترَى أَفعالَها، أنا لا أَعرفكما ولكن منذ النّظرَة الأولى عَرفتُ أنك رجلٌ طيّبٌ".

صمتَ قليلاً وكان يُفكّرُ بإجابةٍ تَدور بعَقله،

تنهّد [كريس] وقالها بصوتٍ مُرتجٍّ: "إنّني وبعد الآن لا أجد شيئًا يُخلّصني مِن الصّمتِ، ثمّةَ شيءٌ مُكوّمٌ هنا لربّما قَلب يَحترقُ أو رجُلٌ يصرُخُ مِن الدّاخلِ، لقد صَمتُّ أكثر من اللّازم ولن أتحمّل أكثر من هذا".

ما إن انتَهى من كلامِه وضعَ [ديفيد] يدَه عند صَدرِه وبدأ يَكحُّ بقوّةٍ ممّا جعل [كريس] يَلتفِت نَحوَه وتَغيّرت مَلامحُ وَجهِه إلى الخَوف قليلًا ليقول: "أأنتَ بخير؟".

استمرّ [ديفيد] بالكحّ بقوّةٍ ولم يَعرِف [كريس] كيفيّةَ التّصرُّفِ في ذلك المَوقِف فقال [كريس]: "اللّعنة!".

أَمسكَ بيد [ديفيد] وحاولَ رَفعَها وخلال ذلك كان يَسأله عن أَدوِية يأخُذها وما شابه إلّا أنه لم يُجِبه.
سارَ [كريس] بصُحبَة [ديفيد] المُتألّم في السّفينة وهو يَلتفِت باحثًا عن [زَوجتِه سأفانا] التي قد تَكون أَدوِيته الخاصّة بحَوزَتها.
توقّف [كريس] عن البَحث والسّير عندما سَمعَ صوت [ديفيد] يقول: "كَفى!".
نظرَ [كريس] إليه بعَينينِ قَلِقتَين بشدّة وقال: "هل أنتَ بخيرٍ؟".

ردّ عليه [ديفيد] قبل أن يُكمِل الكحّ: "خذني لزَوجَتي".

نفّذ [كريس] أوامرَ [ديفيد] بعد أن أخبره رقم غرفتهم وبدأَ بالبَحث عن الغرفة بقلقٍ شَديدٍ على صِحّة [ديفيد].

وصل لغرفةِ [ديفيد] ولم يَجِدها هناك إلا أنّه قبل أن يَخرِج منها سمعَ صوت [سأفانا] تقولُ من خلفه بخوفٍ واضحٍ: "[ديفيد]، ما بك؟!".

أَمسكَت بذِراع زوجِها وقالت مُوجّهةً كلامها لـ [كريس]: "سأتَكفّلُ به، شكرًا لك".

دَخلَت [سأفانا] مع زَوجِها وأغلقَت الباب خلفَها فالتَفتَ [كريس] ينظُر للبَحر خَلفَه وهو واضعٌ يَدَه على رأسه وفجأَة سَمعَ صوتَ [شابٍّ] يقول: "تَوقّفي عن هذه الحَماقات!".

رفعَ رأسَه ليرَى [سام] يَسير خَلف [سارة] المُتجهّمة لمُقدّمة السّفينة فتَنهّد [كريس] بخفّةٍ قبلَ أن يَسيرَ لمؤخّرةِ السّفينةِ واضعًا ذِراعيه على أحد أَعمِدتها مُحدّقًا بالبحر الأزرَق.

بَقيَ على تلك الحال قُرابةَ عشر دقائق حتّى عَكّر خَلوَتَه صوتٌ يَقول بحَماسٍ: "أبي!".

التفتَ خلفه ليرَى ابنَه يَركُض ناحيتَه وخلفه رجل يَلبس قبّعةً شَبيهةً بقبّعةِ القشّ ذات لونٍ مائلٍ للبنيّ الدّاكن يَبتسِم لصَغيره.

احتضنَ [كريس] ابنَه وقبّلَ رأسَه وقال له مُبتسمًا ابتسامةً خَفيفةً: "أين هَربتَ أيّها الّشقيّ؟".

قال [جيرمي] بفرح:"أنا لم أهرُب كنتُ مع ذلك الرّجل".

أشارَ [جيرمي] للرّجل الذي كان يتَقدّم وهو يَقول وعَينه على الصّبي: "لم يَرِث صوتَ أمّه العالي"

ردّ [كريس] وهو يُحدّقُ في ابنِه المُحتضِن لجَسدِه ونَظره على البَحر: "[جيرمي] مُختلفٌ عنّي وعن أمّهِ".

توقّف الرّجل بجانب [كريس] وقال: "لاحظتُ ذلك فهو مُغامرٌ".

صمتَ الاثنان لثوانٍ ثمّ قال الرّجل وهو يُصافِح [كريس]: "[أركون]". أجابه [كريس] معرفًا عن نفسه:"[كريس]".

[أركون]: "هل تعلَم يا [كريس]، الأطفال يتأثّرون بسُرعةٍ خُصوصًا إن كانوا في عُمرٍ صَغيرٍ، [جيرمي] سيَتأثّر بالأحداث والمُشكِلات التي يَمرُّ بها مَعكما".

ردّ [كريس] بمَلامِح هادئة رغم غَضبِه المَكبوت: "لا تَلُمني في هذه، صدّقني أنّني أبذِل ما في جُهدي لحِماية هذه العائلة لكن زَوجتي هي أساس فَشلِها".

تَبسّم [أركون] وقال: "لنَفترِض أنّ مُشكلةً أخرى حَصلَت وأُخرى وأخرى بينَكما، ستَرمي زَوجتُك بابنِها عليك وأنت ستَفعَل المِثل في لَحظةِ غَضبٍ عارمٍ، هل تَعرِف من سيَكون المُتأثّر الوَحيد في هذه المشكلات؟"

لم يَرد [كريس] لثوانٍ فقال [أركون] له: "[جيرمي]".

رفعَ الصّبيّ رأسَه مجيبًا [لأركون] وقال: "نعم".

تبسّمَ [أركون] قائلًا لـ[جيرمي]: "لم أنادِك يا [جيرمي]".

أعادَ الصّبيّ نظرَه للبَحر باستِغرابٍ فقال [أركون] لـ [كريس]: "سيَكون هو المُتأثّر الوحيدُ في هذه العائلة، [جيرمي] لا يَملِك أحدًا في هذا العالم سواك أنتَ وأمّه لذا إن حصلَ أيّ مَكروهٍ لكُما أو انفصلتُما فسَيكونُ هو ضَحيّة فشلِ علاقتكما".

[كريس]: "علاقتنا فَشلَت منذ مدّةٍ وها أنتَ تَراني أُحاول إصلاحَها بشتّى الطّرُق رغم عِناد زَوجتي في مُساعدتي في ذلك".

[أركون]: "زوجتُك تَحتاج للهُدوء المُتواصِل".

[كريس]: "ما أنا خائف منه هو ألَّا تَتمكّن من الحُصول على هذا الهدوء قبل أن تتحوّل لعاصفةٍ هَوجاء، شكرًا لك سيّد [أركون]، هيا [جيرمي] لنَذهَب".

سار [الأب] مع [ابنه] حتّى وَصلا لمُقدّمة السفينة حيثُ كان في استِقبالهما صوت من مُكبّرات القُبطان يُعلِن عن وصولهم للجَزيرَة. فرحَ الجَميع وبَدأَت الهُتافات تَصدُر في أرجاء السفينة بأكملِها وما هي إلّا دَقائق حتّى وَصلَت [سأفانا] وتَوقّفَت بجانب زوجها تَتبعها [سيلا] المُتجهّمة تليهما [سارة]. ضربَت السّفينة خشَبَة المِيناء عند الجَزيرَة قبل أن يُهلّل الجَميع بفَرحٍ وسعادةٍ على وُصولهِم بسَلام لجَزيرَة آران.

8

مَضى زمنٌ طَويل، وأنا أمضي.. هكذا بهذه العَشوائيّة، سَقطَت منّي أحلامي وأُمنياتي وقوّتي التي أَهشّ بها على أوجاعي، ولم أقِف لألتقطَ أيّ شيء سقَط، أمضي هكذا وفي صَدري مَخاوف، أخاف أن أقِفَ فأسقُط، أخاف أن أسقُط فلا يَلتقِطني أحد، أخاف أن أمضي فيَمضي الزّمن معي .. ولا أَصِل.

نَهضتُ مِن نومي مَفزوعًا مثل كلّ ليلةٍ فهذا عِقابي من الرّبّ بسَبب سُكوتي عمّا أراه، لا أعلم كيف سَأبدأ هذا اليَوم ولكن سأنهَض وأنا واثقٌ أنّهُ سيكون اليوم الذي سأضَع له حدًّا،
رَفعتُ جَسدي ونهَضتُ من السّريرِ، التفتُّ إليه ولم أرَ زوجتي، لم أعتدْ على ابتِعادها عنّي خلال نومِنا لقد تَغيّرت كثيرًا ولم أجِد أيّ سبَب لهذا التّغيّر فأنا رجلٌ طيّبٌ ورَجلُ كنيسةٍ أذهبُ يوميًّا لأُؤدّي جميع ما تَعلّمته من الله وعائلتي منذ الصّغر.

خَرجتُ من الغرفة واتّجهتُ إلى الحمّام لأغسلَ وَجهي وأُفرّش أسناني ولمّا انتهيتُ عُدت للغرفة ولبستُ ملابسي التي اعتاد النّاس أن يَروني بها، أمسكتُ بحَقيبةٍ بها بعض الحاجيّاتِ، ثمَّ خرجتُ من المنزل واتّجهتُ إلى

الكنيسة "سانت هولدر" وأنا أتمشّى كان الأطفال يُلقون التّحيّة والكبار بالسنّ يَبتسِمون ويلوِّحونَ لي للدّخول لديهم لشُرب القهوَة أو شرب الماءِ، قَريَتي في غاية الجَمال فهي تَحمِل بداخلها قلوبًا لناسِ بُسَطاء ومُرهفيّ المَشاعِر، لم أكن أُفضّلُ الذّهاب من الطّريق المُختصَرة للكَنيسَةِ، كنتُ دائمًا أُفضّلُ طريقَ الغابة فهو يَجعلُني أتنفّس هواءً أكثر نَقاوةً وأكثر هُدوءًا من وسط المَدينة ودائمًا ما ألتَقي بالرّجال الذين يَقطعون جُذوع الشّجر أو من يعلّمُ ابنَه إطلاق النّار على أكواب المَشروبات الغازيّة فتَكون مُمتلئَة بالرّمال، تبقّى القليل لأصلَ إلى الكنيسَة وفي كلِّ مرّةٍ عندما أصِل لمُنتصَف الغابة يَخرِج لي شابٌّ لطيفٌ يَحملُ الحَقيبةَ.. نعم ها هو هنا، يَركُض نَحوي، [شابٌّ] لديه لَياقةٌ أَحسُده عليها، وجسدٌ قويٌّ وَصلَ إليّ وحملَ الحَقيبَة عنّي وكأنُه يُريد سَرِقتها، أَمسكَ بيدي وقبّلها وقال بصوتٍ مَشحونٍ بالطّاقةِ الإيجابيّةِ:

- "القسّ أنطوان أهل بك".

مَدَدتُ يدي على رأسِه ومَسحتُه وقلتُ له: "فليُباركك الرّبّ يا بنيّ".
ابتسمَ [الشابّ] وتقدّم نَحوي، إلا أنَّ الشّيء الذي لا يَعرِفه هذا [الشابّ] أنّني أكرَهه بسبَب أحلامِه الكثيرة والغريبَة؛ كنت أشعرُ أنه يؤلّف هذه القصَص بنفسِه فلم يتَحمّل والتفَتَ نحوي وخَفّف من حِدّةِ حَركتِه لكي أتقدّم إليه وأكون بجانبه وهذا ما حدث.

فقال [الشاب]: "سيّدي اليوم حَلمت بضوءٍ أسود يَدخُل الكنيسة ثمَّ تخرجُ دماءٌ كثيرةٌ خارج الكنيسةِ وكأنّها شَلالُ دماء، ورأيتُ رأسَ طفلٍ لم أتمكّن من رُؤيَة وَجهِه بشكلٍ جيّدٍ، وجسَدَ امرأة مَقطوع من النّصفِ والعديد من أهالي القريَة". لِمَا لا يُمكنني الصّراخ بوَجهِه و إخباره بأنّي أُريدُه أن يتوقّف عن هذه المَهزَلة التي يَقولها دائمًا، فأنا شيخٌ لديّ كثيرٌ من المُشكلاتِ وهذا [الشابُّ] لا يتوقّفُ عن إخباري بأحلامهِ التي لا يُصدّقها أيّ أحدٍ مِن عائلتهِ، لا أعلم كيف والدَته تتَحمّله.

- "سيّدي أأنت بوَعيك؟".

مدَّ يده وبدأ يلوّحها أمام وَجهي لكي أنتبِه إليه، ابتَسمتُ بتصنُّعٍ وقلتُ له: "يجِب أن تهتمّ بفُروضكَ الدّينيّة؛ فالشّيطانُ يَبتزُّ ضَعفَكَ ويُدخِلُ في عقلك الكثير من الهَذيان ليَجعَلك تَحتَ هَيمنتهِ الخَبيثَة".

صمتَ وبدأ بالمشي بصَمتٍ، تنفّستُ الصّعداء وشَكرتُ الربّ على صَمتِه فأنا أحتاجُ كثيرًا من الهُدوءِ لكي أفهمَ ما يَجري بحياتي الشّخصيّة فكنتُ دومًا أردّد هذه الجُملة: "أصبحَت أحلامُنا الصُّغرى هي أن نَستَيقظَ مِن النّومِ مُعافَين من كلّ تلك الخَيباتِ التي قد خَدشَت قُلوبنا واستَنزفَت مشاعرَنا وأَطفأَت تَوهُّجنا".

توقّفتُ أمام اللّوحة المَكتوبِ عليها بخطٍّ عريضٍ:

"كنيسة سانت هولدر بناء عام 1800 وتمّ تجديدها برعاية أنطوان فنوكدا بعام 1950".

تقدّم الشاب وسَلّمني حقيبتي، شَكرتهُ بصِدقٍ هذه المرّة وأخرجتُ مَفاتيح الكنيسة وفَتحتُها ثمّ دخلتُ لتَستقبِلني إضاءةُ أشعّةِ الشّمسِ، تركتُ الباب مفتوحًا إلى آخره ليَعرِف الجَميع أنّه يُمكنهم الدّخول، بدأتُ بتَرتيب المَكان وأَشعلتُ الشّموعَ التي بجانب الصّليب ثمّ جلستُ على رُكبتيّ وشَبكتُ قَبضتيّ وبدأتُ أدعو بصوتٍ عالٍ....

خرج صوتٌ عالٍ وأتَت السّاعة العاشرةُ وهذا الوقت الذي أكون فيه بداخل صندوقِ الاعترافِ *وهو مكان مُخصّصٌ للاعتراف في الكنيسة، ويكون فيه حاجزٌ غير مرئيٍّ ويجلس القسّ بداخلِه لاستِقبالِ النّاس وسَماع خَطاياهم*

جلستُ لمدّةِ نِصف ساعةٍ لم أشعُر بالمَلَل فأنا مُعتادٌ وقد تأتي أيامٌ أجلسُ لمدّةِ ثلاثِ ساعاتٍ دون دخولِ أحدٍ ولكن دون سابقِ إنذارٍ سَمعتُ صَوتَ حَركة وبَعدَها صوت شَخصٍ يَتنحنَح وبَدأ بالحَديث:

"بارِكني يا أبَتاه، لأنّي أخطَأت. لقَد مرّت [مدّة طويلَة] منذ اعتِرافي الأخير، وأتمنّى من الرّبّ أن يغفرَ لي لأنّني لم ألجَأ إليه إلا عندما أَصبحتُ بحاجته فقَد نَسيتُه مثل حياتي القَديمَة وهويّتي القديمَة، لقد مرّت أربع سنوات منذ وقت الحادِثة ولم أنسَ التّفاصيل ولم أقدِر أن أُخبرَها بالصّدق فأنا خائفٌ مِن فقدانِها، كُنّا بتلك اللّيلةِ؛ ليلةِ الخُطوبةِ وقَرّرنا الاحتِفالَ مع الأصدقاء فعلاقتُنا أَصبحَت رسميّةً، ذهبنا جميعًا للبَار وشَربنا لحدّ الارتِواءِ وبدأ الشّيطان يُمهّدُ طَريقَه ليُدخلَ الشّهوةَ بينَنا فلم نتَحمّل وركبنا السّيارة وبدأتُ أقودُ بجُنون لكي نَعود لشَقّتي، كنت أَقطنُ وَحدي وهي قرّرتْ أن تَسكنَ معي بعد فترة وَجيزةٍ ولكن في مُنتصَف الطّريق ضَغطتُّ على المَكابِح بأقوى ما لديّ فلم أقدِر أن أوقفَ القدَر الذي جَعلَني أَصطدِم بالطّفلِ الصّغيرِ، طارَ بعيدًا عنا والتَففتُ نحو إحدى الأشجار واصطَدمتُ بها لتَتوقّف السّيارة، التفتُّ نَحو خَطيبَتي، كانَت مُغمىً عليها، أخذتُ أُنادي باسمِها بصوتٍ عالٍ ولم تكُن تُجيبُني، اعتَقدتُّ أنّها ماتَت فخرجتُ من السّيارة وكان رأسي يَدور ويَدور ذهبتُ إليها وفتحتُ الباب ووَضعتُ يدي عند عُنقها فأحسَستُ بنبضاتِ قلبِها وكان يَنبِض، شَكرتُ الرّب، ولكن دونَ سابِق إنذارٍ سَمعتُ صوتَ صرخةٍ عاليةٍ بداخلها الألم والضَّيَاع، التفتُّ ورأيتُ امرأةً تَضَع الطّفل عند رُكبتَيها وتبكي بصوتٍ عالٍ، ولكن دون سابق إنذارٍ أتَتني فكرةٌ لم أعلَم كيف أتَت أَمسكتُ خَطيبَتي، حَملتُها على كتفي ووَضعتُها عند جِهَة السّائق ومسكتُ يديها وثبّتُهما على المِقوَد لِكي أجعلَها رسميًّا هي القاتِلة وليسَ أنا...".

صمتَ ولم يتَحدّث من جديد وكنتُ أنا مَصدومًا لم أتمكّن من تَصديق كلّ ما قالَه، طِيلَة حياتي كقسّ لم أسمَع شيئًا بهذه البَشاعَة كيف أَمكنَه فِعل كلّ هذا كنتُ أُريد النُّهوض وتَلقِينه دَرسًا لن يَنساه ولكِن تَنفّستُ الصُّعَداء وقلتُ بصوتٍ هادئٍ: "والآن أين هي؟".

فأجابني: "إنّها مَعي وأصبحَت زَوجَتي وكلّ يوم تَستيقِظ من نومِها مُرتعبةً وعندما أسألها تقول إن الحادثة تُعاد عليها وهي تَصدِم الصّبيّ، ولكن علاقتنا مُرتبِكة جدًا فأنا لا أستَطيع تَحمّل التّمثيل أكثر من هذا فهو يَفوق طاقَتي".

أجابته: "يجِب أن تُدرِك أنّه لا يُوجَد شيءٌ يفوقُ طاقتكَ، أنتَ ليسَت لديك أيُّ طاقةٍ فكلُّ ما يَجبُ أن تَفعلَه هو الاعتراف لزَوجتِك".

فقال: "ولكن...".

قاطَعتُه بصوتٍ حادٍّ: "دون ولكن، يجِب أن تفهمَ أنَّ ما فَعلتَه شيءٌ كبيرٌ ولن تَأتي المَغفرَةُ لك إلا إذَا اعترَفتَ بخَطيئتِك التي هي الشّهوة، انظُر كلّ ما فعلَه الشّيطان".

بداخلي كمٌّ هائلٌ من الغضَب، كيفَ استَطاعَ أن يفعل كلَّ ذلكَ مع مَن يُحبّ؟! يَقتل ويكذِب ويَزرَع الخوفَ والشّعور بالذّنبِ في قلبِ مَحبوبتهِ كلَّ تلك المُدّة، لا هذا ليسَ حبًّا ولا يَستَطيعُ أحدٌ إقناعي بأنّه شَخصٌ سليمٌ عقليًّا، كيفَ تَحمّلَ رؤيةَ دُموعِها التي ما زالَت تَذرفُها كلّما فكّرَت بأنّها قد قَتلَت طفلاً، هذا المُجتمَع قاتلٌ للعَفويّةِ التّلقائيّةِ والسّلاسة والبَساطَةِ، وعاشِق للعُقَد والنّفاق والتّصنُّع بامتيازٍ، كيف أصِفُ ما بداخلي إن عَجزَت جميعُ حُروفي عن البَوح بما أشعُر، أتَتني رغبةُ البُكاء. لم أعُد أستَطيع التحمّل، لقد أصبحَ الكمّ الهائلُ من الاعترِافاتِ يُؤرّقني ويُثيرُ غَضبي دونَ جَدوى، رغبةٌ عارمةٌ في الصّراخِ في وَجهِ كلِّ شخصٍ ارتكبَ خطيئتهُ عَمدًا دونَ الرّغبةِ في الاعترافِ بها لغيرِ القَسّ، فهم يَعترِفونَ للقسّ في غرفةِ الاعترافِ المُغلقةِ لأنهم يُدركونَ أنَّ القسّ لن يُحاسبَهم ولن يَفضحَهم، فهم في أمانٍ، إنّما يكونُ اعترِافهم هذا لتَفريغِ مَشاعرهم السّلبيّة لا أكثر، فيَقومونَ بالاعترِافِ في كنفِ بيت الرّب حيث لا أحدَ سيَعتدي عليهم، ولا أحدَ سَيعلَم بما ارتَكبوا.

تَأتيني أفكارٌ سَوداويّة جَعلَت من تَحت عينيَّ حدائقَ سوداء، حُزنٌ لا يُفارقني، اكتِئابٌ دائمٌ، خَيباتٌ لا مَفرَّ منها، حياةٌ قاسيةٌ والأقسى منها عندما تُريد أحدًا يَفهمك أو شخصًا يَستمِع إليكَ لكي تَشرحَ له مُعاناتك دونَ جَدوى فأنا القسّ وأنا مَن يَعترفُ النّاسُ أمامهُ ويُثقلونَ كاهله بهُمومِهم، لم أعتقِد أنّه سيأتي هذا اليوم الذي نَدمتُ فيه بشِدّة على سَماع أحاديث الناس، ما هذه الجَريمَة التي قَتلَت بَراءَة هذه المَرأَة المسكينَة؟ كيف أَمكنَه التّفكير هكذا؟

أنا لا أصدّق لا أصدّق! جَلستُ صامتًا لمدّةٍ طويلةٍ إلى أن شعرتُ أنّه رحلَ ولم آخذ عَشر دقائق حتّى سَمعتُ صوتًا آخر، كان صوت امرأةٍ لم أتمكّن من تَمييزه بشكلٍ جيّدٍ بسبَب مكبّر الصّوت الذي وضعناه ليُغيّر الصّوت للمُحافظَة على الخُصوصيّة التي يُريدها المُذنب: "باركِني يا أَبَتاه، لأنّي أَخطَأت.

لقد مرّت [خمس سنوات] منذ اعترافي الأخير، ما أريدُ أنْ أقوله كان بقَلبي منذ زمنٍ طَويل وكان مَكبوتًا بداخلي ولم أقدِر أن أُفصِح عنه لزَوجي، كان لي غير شَرعيّ لم يكُن ابن زوجي الذي تزوّجته منذ زَمن طويلٍ" قاطعتها: "لماذا خُنتِه؟ لماذا جَلبتِ له ابنًا غير شَرعيّ؟ كانت لديكِ عدّة حُلول قبل أن يَتكوّن في بَطنِك".

أَكملَت [المَرأة]: "لقد كنتُ مُجبَرة، لقَد تَعرّضتُ للاغتِصاب من مُديري ولم أعلَم أنّه طِفله إلا بعد خمس سنواتٍ من وِلادتِه؛ لم يكن يُشابه زوجي لم أكن أريدُ أن يَحدُث كلّ هذا".

تَنهّدتُ وقَرّرتُ أن أُفصِح عمَّا في داخلي، لم أعرِف لماذا ولكن شَعرتُ بالصّدق في حديثها: "أنا أيضًا أصبحتُ شَخصًا لا يُشبه ما أَردتُّ أن أكونَه، مَسار الحَياة والواقع لم يُلائم ما أَردتُه يومًا، لا أحد يَختار ما يُريده، الأمر أشبهُ بالإكراه"

قالت [المرأة]: "شكرًا لك سيّدي على وَقتِك".

قُلت بصوتٍ خافت: "بالخِدمة".

سمعتُ صوتَ حركة وعَرفتُ أنّها رحلَت، لكن انتَظرتُ خمسَ دقائق ثمّ خرجتُ من غُرفَة الاعتِراف واتّجهتُ إلى نافورة تسمّى بالمِياه المقدّسة رَفعتُ شَعر رأسي، لم يكن كثيرًا، غَططتُ رأسي بالمَياه لعلَّها تَغسِل أفكاري وتُهدّئُ روحي، لم أعُد ذاكَ القسّ المُفعَم بالحيويّةِ والمُتأهّب لسَماعِ اعتِرافاتِ النّاس، فقد أدركتُ بُعدَهم عن الإله وأَغضبَني هذا البُعد، فلا يَتذكّرون الرّبّ إلا في أزَماتهم ويَطلبونَ المَغفِرةَ وعليَّ أن أُبارِكَ اعتِرافَهم لتَدخُل السّكينةُ في قلوبِهم ويَعودون لحَياتهم المَليئةِ بالخَطايا ثمّ أخرجتُ رأسي من المِياه المُقدّسةِ

وقلتُ بصوتٍ مُرتفعٍ قليلاً: "ليُسامحكما الربّ".

انتهى يومي وأغلقتُ الكنيسَة وهَمَمتُ بالعَودة إلى مَنزلي، لقَد غابَت الشّمس وأصبحَ المَكان يَشوبُه الظّلام والرّؤيَة مُنعدِمة، ولكن مثل كلّ مرّة أعتمدُ على مِصباحي الزّيتي فهو يَعطيني بعض الأمان والدّفء والإرشاد، لمْ أرغَب بالعَودة إلى منزلي فاتّجهت لطَرف الجَزيرة، قَريَتنا لم تكُن بعيدةً كثيراً من طرَف الجَزيرةِ على عَكس باقي القُرى، لمَ لا يُمكنني التّركيز في أفكاري، الكثير من الأفكار تأتي إليّ دُفعةً واحدةً وكأنّها تُحاول أن تُهاجمَ عَقلي فأنا أشعُر بتَعبٍ شديدٍ مِن رُوتينيّ اليوميّ.

في أحَد الأيام أَخبرَتني زَوجَتي بكَلام لا يتَقبّله أحدٌ: "لا أحدَ سيَعرِف إلى أيّ مدًى أنتَ مُتعبٌ، فظاهرُك مُنظَّمٌ، وتَفاصيلُك الهادئة لا تَشي بمِقدار التّعَب الذي تُضمِرهُ، ولن يَشعُر بك أحدٌ".

لم أجبْها، شَعرتُ بالنّدم أنني أتيتُ للفَضفَضة لها، أعطيتُها ظَهري وخَرجتُ من المنزِل واتّجهتُ إلى طرَف الجَزيرَة فهو أكثر الأماكن هُدوءًا فيها، نعم إنّها على حَقّ؛ فلا أحدَ سيَسمَعني ولا أحدَ سيَشعُر بتَعبي وأَرَقي، لَجأتُ إلى الطّبيعةِ لأستَطيعَ تَفريغَ جَعبَتي ممّا يَعتَرِي روحي مِن بؤسٍ وسَوداويّةٍ، لعلَّ حَيويّتي تَعودُ وأستَعيد قُدرتي على الإصغاء فهذا واجبي، وها أنا الآن قد وَصلتُ لطرَف الجَزيرَة وبدأتُ أرى كيف أنّ الأمواج تَلطِم الحِجار التي في الأسفل، وَضعتُ رجليّ عند الطّرَف وأغمَضتُ عينيّ ورَفعتُ يديّ للأعلى، كان كلّ ما أُريدُه هو فقط الطّيران ولم يَحدُث هذا ولكن!! حدَثَ شيءٌ أَرعبَني كثيرًا، سَمعتُ صوتَ طَلقةِ نارٍ وفَزِعتُ ودون سابقِ إنذارٍ زلّت رِجلِي ولم أقدِر على تَثبيتِها وبدأتُ أسقُط للأسفل...

هل هذا هو الطّيران؟

الهَواء المُنعِش!

ذكريات كثيرة تَنهال عليّ.

ها هنا الذّكرى التي حاولتُ كثيراً نِسيانها ولكن لم أقدِر وهي موتُ زَوجَتي! لماذا ماتَت وكيف! ذاكِرتي توقّفَت عن التّذكّر وسقَطتُّ في الأحجار وشَعرتُ بألمٍ لم أشعُر به قطّ، جَسَدي يتَكسّرُ لم أقدِر على التّنفّس جيداً..

عادَت ذاكِرتي مرّةً أُخرى وكأنّها تُريدُ أن تُخبرَني عن شَيءٍ

الخَطيئةُ ستَبقى خَطيئةً.

زوجتي أخطأَت مُتعمّدةً والقدَر جازاها بالمَوت فهي تَستحقّ ما حدَث لها لقَد خانتْني مع رَجُل يَصغُرها سنًّا ولم نجِد هذا الرّجل قط.

سمعتُ آخر صوتٍ في حياتي، صوتُ طَلقَة نار قويّة تَردّدت بأُذني وشُعاع أحمر انتَشرَ بالبَحر...

9

رجلٌ مُسنٌّ يَركبُ حِصانَه ويَجرّه باتّجاه طرَف الجَزيرَة بعد أن أتَاه بَلاغ جَريمَة قَتل بَشِعَة، لم يأخُذ وقتًا طَويلاً ليَصل، استَقبلَه رِجال الشّرطة وأدَّوا له التّحيّة العَسكريّة، نَزلَ عن الحِصان وأمسكَ بلِجامِه وسلّمهُ لأحَد الرّجال، تقدّم شخصٌ يلبس زيّ الأطبّاء تَوقّف أمامه وقال: "[الشّريف] سيفاك".

لم يُعطِ [الشّريف] بالًا للطّبيب وكان يَلتَفّ حول المَكانِ مَصدومًا من تلك الأشياء المَوجودةِ؛

الدّائرة من العِظام وقطَرات الدّماء المُنتشرةِ على الأرض: "أين الجُثَث؟".

أشارَ الطّبيب إلى فتحةٍ أوّل مرّةٍ يراها [الشّريف]

فقال باستِغرابٍ: "مَهلاً هذه أوّل مرّةٍ أراها!".

وبدأ يتَقدّم بخُطًى سَريعةً وأنزلَ قبّعَته ووَضعَها تحتَ إبطِه وبعد أن خَطَت رِجلُه المَدخل نَفَحتْهُ رائحةٌ كريهةٌ، كان المَدخل شِبه مُظلِم، بدأ بالمَشي إلى أن اتّضح له شيءٌ بغاية البشاعةِ، الكثيرُ من الأعضاء المُتقطّعةِ، تحتَ أحد الأحجار يوجد رَجلان ويُوجد بينهما فارقُ الشّكل والدّماء تُغطّيهما، ومِن جهةٍ أُخرى يُوجَد رأسُ لرجلٍ أوّل مرّةٍ يراه، فهو يَعرِف جميعَ القاطِنين بالجَزيرةِ فعرَفَ أنّه أحد السّائحين بالجَزيرَة ولكن كيف أتى إلى هنا؟

كتمَ أنفاسَهُ وبدأ بالتقدّمِ إلى المُنتصَف، رأى يدًا مَقطوعَةً بجانبها شيءٌ غريبٌ، شيءٌ يَلمعُ ولونُه أسوَد، انحنَى ولمسَ الحَجرة وبسُرعةٍ مُفاجئةٍ سقطَ على الأرض وتحوّلت عيناه ليَكسوهما السّوادُ، ومن حسن حظّه كان الطّبيب قد وصل ورآه بحالته التي يُرثى لها، انحنى لكي يُساعده ولكن سقطَ الطّبيب على الأرض وبدأ هو الآخر يَرتجِف بحالةٍ مُخيفةٍ ومِن ثمّ بحَركةٍ واحدةٍ نهَضا وكأنّه لم يَحدُث شيء: "أيها الطبيب ماذا تفعَل هنا؟".

تحدّث الطّبيب باستِغراب: "أنتَ أيّها [الشّريف سيفاك] منذ متى وأنتَ هنا؟".

دخلَ أحد الرّجال وهو يَلهَث من الرُّعب الذي بداخله وكأنّه وجدَ جُثّة ملك إسكُتلندا فقال: "سيّدي [الشّريف] لقَد وَجدنا جثّةً أُخرى!"

ركضَ [الشّريف] بخُطًى سَريعَة خلفَ الرّجل ولم يتَوقّفا إلا عند طرَف الجَزيرةِ،

كان يوجد فريقٌ مُستعدٌّ للنّزول وحملِ الجثّةِ ولكن أوقفَهم [الشّريف] وقال: "أنا من سيَنزِل أولًا".
أَومَأَ الجَميعُ برؤوسهم ولم يَعترضْه أحدٌ، بدأ بالنّزول، توقّف بجانب الجثّة التي صَدمتْه، من كان يتَوقّع لقسٍّ مُحترمٍ أن يموتَ هكذا!؟

ونظر للأعلى وبسرعةٍ فهمَ أنّه لم يَدفعْه شخص لأنّه لو دَفعَه شخصٌ ما سيَكون مكان سُقوطهِ أبعد ولكنَّ مكان سُقوطه أقرب، نزلَ رجُلان أحدهما اسمه ثون والآخر [بروس]، توقّفا أمام الجثّة ووضَعا أيديَهما على أفواهِهما مَصدومَين فقال ثون بتَوتّر: "أبانا الذي في السّماوات، ليتَقدّس اسمك، ليأتِ مَلكوتك، لتكُن مَشيئتُك كما في السّماء وأن تغفرَ له".

ثم تحدّث [بروس]: "القسّ، لقَد انتحَر!".

لم يَحتمِل [الشّريف] هذا الكلام على القسّ وصَرخَ بوَجه [بروس]:

"لا تقُل هكذا! أنا واثِق أنّه لم يَنتحِر، لا يُوجَد شيء يَجعَله ينتحِر!! يوجَد شيء أنا لا أفهَمه".

صَعدَ [الشّريف] للأعلى وتركَ أتباعَه يُكملون التّحقيق فهو لن يتَحمّل الوُقوف بجانِب جثّة القسّ وعاد إلى الكَهف ووَجدَ مرّة أُخرى الحَجرة السّوداء، ولكن لم يَلمِسها، بدأ بالتّفتيش بخُصوص أيّ شيء يَدلّه على وُجود دليل، توقّف أمام رأس أحد المَقتولين وَوجدَ الرّصاصَة مُخترقةً رأسهُ ففهم أنّها جَريمةُ قتلٍ، ولكن كيف تفجّرَت أَعضاؤهم هكذا؟!!!

10

- "يا لَلهول!".

قالها [ديفيد] وهو يَضَع كِلتَا يَديه على رأسِه بسبب المناظِر الخَلّابة التي يَراها أمامَه، وبعض الزُّوّار يتَقدّمون للأمام والمُرشد السّياحي يتَحدّث، كانت زوجتُه مُمسكةً بكاميرا تُصوّر كلّ شيءٍ بحماسٍ وابتسامةٍ مَشدوهَةٍ، وفجأةً أمسكَ بيَد زوجتِه وبدَءا الابتِعاد والرّكض وهُما يتَذكّران الأيّام الخوالي التي تركاها خَلفَهما: توقّف [ديفيد]..".

توقّف بعدها وهو يتَنفّس الصّعداء ثمّ تَقدّم أمامها ليُلصِق وَجهَه بوَجهِها وكادَ أن يُقبّلها لكنّه ابتعدَ بعد أن وَجدَ طفلاً صغيراً يَسحَب بِنطالَه فعرَفه وقال: "ماذا تفعل هنا يا [جيرمي]؟".

[جيرمي]: "لقَد أضعتُ والدي بعد أن تَركتُ يده".

قالَها بصوتٍ حَزينٍ ولم يَتحمّل مَسكَ دُموعِه التي بدأَت تَنهمِر، وضعَ يَده على وَجهِه يَمسحُ دُموعَه، تقدّم [ديفيد] نَحوَه ومسحَ على رأسِه وحمَلَه، ظهرَت مَلامح الثّقل على وَجهِه بعد أنْ حَملَه ولكن لم ترَها زوجته، بدأ يتَقدّم بخُطًى بَسيطَة ولم يَمشِ خطواتٍ كثيرة حتى سمعَ صوتَ والد [جيرمي] فناداه بصوتٍ عالٍ: "كريسسس".

قالها وهو يُلوّح بيده ليراه.

وما أن التفتَ للصّوتِ حتّى وجدَ ابنه يَحمِله [ديفيد]

وبدأ يُهرولِ نحوَه قال [كريس] بخوف: "أين ذهبتَ أيها الأحمَق؟".

سحبَ [جيرمي] من [ديفيد] وَحمَلَه ثمّ قال له بغَضبٍ: "إن حاولتَ الابتِعاد عني فسأُذيقُك عِقابًا لن يُرضيكَ هل فهمت!؟".

أومَأ برأسِه أنّه فهِم وبدأَت دُموعُه تتَساقَط، التفتَ نحو [ديفيد] وقال له: "شُكرًا جزيلًا لك".

ابتسمَ [ديفيد] بتَوتّرٍ وأمسكَ بيَد زَوجتِه وقال: "لا شُكرَ على واج..."،
لم يتَمكّن مِن إكمالِ كَلِمتِه فقَد سَمِعا صوتَ صَرخةٍ آتيةٍ مِن جهةِ المُرشِد السّياحي، تبادلَ [ديفيد] و[كريس] النّظَرات بارتيابٍ ثمّ ذَهبا إليهم وبعد أن وَصَلا وَجَدا باستِقبالهما منظرًا يُقشعرُ بدنهما: أغلَب الأشجار مُدمَّرة وتَصبّغَت أغلبُها بالسّواد الحالك المُرعِب والحيوانات المُتفحّمة والعِظام في كلّ مكانٍ والرّائحةُ الشّديدةُ البَشاعَة، سدَّ الجَميع أُنوفَهم بلَوعةٍ ولم يتَقدّم أيٌّ منهم خطوةً واحدةً واكتَفوا بالنّظَر للمَنظَر البَشِع.

كانوا يَرون الطّيورَ وهي تتَساقَط عندما تَطير فوق المنطقَة، ثمّ تَرجِف بشَكلٍ مُرعبٍ لتَموتَ مِيتةً مُدوِّيةً، ابتعدَ [ديفيد] عن المَكان بعد أن وجدَ زوجتَه تَسقُط على الأرض غير مُتحمّلة المنظَر والبَعض بدأ بالبُكاء والانسِحاب من المنطقة وبقُلوبِهم رُعبٌ شّديد، أصبحَ البَعض يتَهامَسون عن شيءٍ حدَث ليلةَ أَمس والتي كانَت أوّل يومٍ وصولهم: "هل الأمر مُتداخلٌ مع الحادِثة لَيلَة أمس؟".

فقال [أحد السياح]": لقَد حَلمتُ البارحة بضجّة ستَحدُث ويَسقُط مَطر من الدّماء".

تَكرّرت كلمة "ويَسقُط مَطرٌ من الدّماء" ببال [ديفيد] واستَحضرَ حَديثَهُ في السّفينةِ مع عالمِ الآثار [أركون] الذي أخبرهُ بأنّهُ أتى إلى جزيرةِ آران لاستِكشافِ حجرِ ألارزايا الذي يَحملُ أسطورةً مُخيفةً:

- "هل يُعقلُ هذا؟ هل كانَ تَوتُّرُ [أركون] عندما حدّثني عن أَبحاثِه الاستِكشافيّةِ حقيقيًّا؟

لِمَ لمْ أُصغِ إليهِ في السّفينةِ لربّما كانَت هناكَ أسطورةٌ مُخيفةٌ على هذه الجزيرةِ؟ ولكن أينَ هو [أركون] الآن؟! لم أجدهُ في أيّ مكانٍ بعدَ وُصولنا إلى الجزيرةِ".

عادَ الجميع للقريَة الصّغيرَة التي تَضمّهم والتي بها الفندق المتوسّط الحَجم والبِدائي، لم يكن يُوجَد فيه التّكييف، فقَط مَراوحُ فوقَ السّقفِ تَدور وتُخرِج بعض الهواء البارد النقيّ، من طَبيعَة جزيرة آران أنّها باردَة والهَواء يَهفُّ عليهم من كلّ الاتّجاهات ولكن بسبب البِنايات التي حَدثَت والأشجار أصبحَ من الصّعب أن يَصلَ الهَواء لكلّ منطقةٍ ولكن لم يكن سببًا مُباشرًا لتَوقّف الهواء البارد.

دخلَ [ديفيد] الفندق، كان [سام] و[سارة]، و[كريس] وابنه جالسون بعضهم بجانب بعض يتحدّثون عن الحادثة ولما التقَت أعينُهم ببَعض رفعَ [سام] يَدَه ولوّحَ لـ [ديفيد] ليَدعوه للجُلوس معهم كادَ أن يتّجه لهم وهو يَبتسِم ولكن أوقَفتْه زوجتُه وقالت: "[ديفيد] عزيزي سأعودُ للغُرفة سأكون بانتِظارِك؛ أشعُر بالتّعَب الشّديد".

التفتَ [ديفيد] إليها وقال: "حسنًا لنَعُدْ للغُرفَة".

أَوقَفتْه [سأفانا] وقالت: "لا، أَرجوك كن مَعهم فهم يُريدونك، يُريدون شخصًا يَعطيهم بعض الأمان وأعتقِد أنّهم يَجِدونَه لَديك مثل ما أَجِده أنا".

وَضعَت يدَها بناحية خدّه ومَسَحتْه بلُطفٍ ثمّ ذهبَت للغُرفةِ.

اتّجَه [ديفيد] إليهم وحيّاهم بلُطفٍ وجلسَ بجانبهم، ابتسمَ ليَبعثَ بعض الرّاحة إلى قلوبهم وبادلوه الابتِسامة فقال [ديفيد]: ما حدثَ ليلة أمس بعثّ الرُّعب بداخل جميع السّياح".

" أَومَأ الجميع برؤوسهم إلا [جيرمي] الذي كان نائمًا بحُضنِ والده قالت [سارة] بتَوَجُّس: لقَد سَمعتُ أنّ السّياح فقط هم من حَلموا بأحلامٍ غَريبةٍ وأنّ السّكان لم يَحلُموا بشيءٍ".

نَظرَت [سارة] إلى [ديفيد] ثم سألته بتوجس: "هل واجَهَك حلمٌ؟".
تَغيُرت مَلامِح [ديفيد] وحاوَل ألّا يُظهِرها لهم، ولكن لم يتمكّن من المُماطلةِ، الجميع عَرَفوا أنّه يُوجَد خطبٌ ما،
تَنحنَحَ [ديفيد] وقال: "الأحلام مُشاركتُها جميلة وبداخلها الكثير من الذّكريات التي نَتمنّى نِسيانها".
رفعَ يَديهِ وبدأ ينظُر إليهما ثمّ نظَرَ إلى الطّاولة فأكمل [ديفيد]: "يَداي مُلطّختان بدِماء الأبرياء، لقَد غَسَلوا عَقلي وجَعَلوني مُجرمًا لهم، لقَد كانوا يُوهِمونَني أنّهم إرهابيون ولمْ أُدرِك إلا بعد فوات الأوان أنّنا نحنُ الإرهابيّون، قَتَلنا الكثير بنِيّة البَحث عن أَسلِحَة ولكن لم نجِد أمامَنا إلّا الأبرياء فقَط، لقَد كنتُ أخدمُ في الجَيش ولديّ الكثيرُ من القِصص التي لا أتمنّى تَذكّرها ولكن حُلمي هذا قد أعادَ لي ذِكرى جَعلَت قلبي يَتألّم!".

سَكتَ بعد أن تَوقّفَت كلّ الأصوات من حَولِه رفعَ رأسَه ولم يَجِد أحدًا، نهَضَ [ديفيد] بخوفٍ: "[كريس]، أين أنت؟".

قالها بصوت عالٍ، لم يُجبْه أحد، بَدأ المَكان يَزداد بُرودَة وكأنّه بداخِل ثلّاجَة مَوتى، أغمضَ عَينه للَحظَة ثمّ فتحَها لتأتي له نَفخَة هواءٍ حارّةٍ ويَصطدِم بمَنظرٍ بشعٍ،: جُثثٌ متناثرةٌ بكلِّ مكانٍ وهو مُمسكٌ بسِلاحٍ بيدهِ، أطفالٌ ورجالٌ ونساءٌ كبارُ السنِّ، بَدأَت دقّاتُ قلبِه تتَسارَع كثيرًا ويلتفّ حَول المَكان بسُرعة ويَتعرّقُ، أغمضَ عَينَيه للَحظةٍ ثمّ فَتحَها ووَجدَ جَميع الجثث واقفةً، كانوا يَنظرون إليه بغَضبٍ ولكنّهُ وجدَ شخصًا كان يَعرِفه معرفةً جيّدةً، لقَد كان ابنهُ معهم،

نظرَ [ديفيد] إليه باشتياقٍ وقال: "ابني هل هذا أنت؟".

رفع يده مُحاولًا أن يُمسِك به ولكنّه أَغمضَ عَينيهِ مرّةً أُخرى وفَتحَها فوَجَدهم جميعهم يَنهالونَ عليه بالضّربِ، حَمَى نفسه بيديهِ ولكن لم يطُلِ الأمر وبدأ يسمع [صوتًا يُنادِيه]: "[ديفيد]، انهَض، انهَض!".

عادَت جميع الأصوات، فتحَ عَينَيه بخوفٍ ورأى الجَميع جالِسين حول طاولةٍ يَنظُرون بعضهم إلى بعض بخوفٍ شديدٍ، لم يَكونوا خائفين ممّا حدَث لـ [ديفيد] بل كانوا خائفين ممّا رَأوه!!!

اختَلطَت الحَقيقةُ بالحلمِ وباتَ كلٌّ سائحٍ يَسرُدُ قصّةَ حُلمهِ المُخيفةِ وكأنّه عاشَ الهَلَع، فدَخلَ الخوفُ قلوبَهم واستَحوذَ التّوتّرُ على أفكارهم، كانَ جميعهم يتَرقّب ما سيَجري وما هي حقيقةُ تلكَ الجَرائمِ التي أسفرَ عنها مَوتُ عَدَد من السيّاحِ وموتُ القسّ أيضًا.

11

[سارة]: "إنّ الإنسان لَيُناضِل في الدّنيا ألف عامٍ في سَبيل الوُصول إلى مَسارٍ واحد؛ مُستقِرٍّ آمِن، يَمشي فيه مُطمئنًّا، لا يُخيفُه الغَد، ولا تُحيّره الظّنون".

كانت [سارة] تتَمشّى في الأرجاء وهي تتَحدّث مع [والدتها]: " "[سارة] يجِب أن تَفهَمي ، أحيانًا بعد كلّ الحُشود التي عرفتِها في حياتك، تأتي فترَة تَشعرِين فيها بالتّشبّع والاكتِفاء، واستِثقال المَديح، والمَيل إلى الانطِواء، فَترَةٌ تَكتَشفِين فيها أن الحَصيلَة الرّابِحة هي قلبٌ صادقٌ واحدٌ تَأوين إليه مِثلما يَأوي المَرءُ إلى بيتِه في آخِر اليوم هاربًا من جَميعِ الأشياء."

لطالمَا في أيّامها السّابقة كلّما حدثَت مُشكلةٌ بينها وبين زَوجِها كانَت تتَحدّث مع والدتها لتُفرِغ الشُّحنات التي تَتولّد عند حدوثِ شِجارٍ أو نقاشٍ حادٍّ بينَهما فهي تَجِد الأمان لدى والدتها أكثَر من زوجِها،
بَدأَت [سارة] تتَمعّن بالمَنظَر الخلّاب الذي أمامها وأجابَت [والدتها]: "تعلّمتُ إخفاء مَشاعِري عن الجَميع بدون استثناءٍ، أَجبرتُ قلبي على الجُمود ومَلامِحي أيضًا، أخفيتُ مَشاعر الفرَح، الشّوق، الحَنين، الحُزن، والكَسر،

فقط أنظُر بهُدوءٍ وصَمتٍ قاتلٍ، وراءَ الصّمت مَشاعِر عَجزتُ أن أبوحُ بها، وما كان من الجَميع إلا أن يَنظُروا لي بنَظرَة واحدة: "لا تُبالين؟". لم يَعلَموا بالحُروب التي أخوضُها حتّى أبدو لهُم بهذا الثّبات!".

[والدة سارة]: "عن شُعور الصّمت والتّقبّل بعد تَعبٍ رَهيبٍ، عن شُعور الاستِسلام بعد مَعركةٍ طويلةٍ، أنتِ غير مُهتمة بالنّصر ولا الخَسارة، لَستِ مُهتمُة بأن تُبرّري أفعالَك ولا أن تَثبتِي وِجهَة نَظركِ، أنتِ فقط تُريدِين أن تَصمُتِي وتُلملمِي شَتاتكِ".

[سارة]: "و إن حاولتُ تَقبّل كلّ شيء فلن أرضى بالحالة التي نحنُ بها فهي يُرثَى لها لا أحَد يتَمنّاها للقَريب له أو حتّى لعَدوّه فنحنّ بعلاقةٍ مُتوتّرةٍ في أَتفَه الأشياء، نَغضَب وفي أجمَل اللحظات تَمرّ بذاكرتِنا أَسوأ اللحظات".

كانت أمّها هي المَلجأ، لم تتَخلّص [سارة] بعد مِن شُعورها بالذّنب تجاه تلك العائلة التي فَقدَت طِفلَها بسبب طَيشِها وسُكرِها، اعترفَ [سام] للقسّ بفَعلتِه ولكنّه لم يَقوَ على الاعتِرافِ لزوجتِه وحَبيبَتِه [سارة] عمّا اقتَرفتْه يَداه تجاهها، لم يَستطِع إعطاءَها صَكَّ البَراءةِ الذي كانَت تَستَحقّه منذ البدايةِ، فأفكارُه ورَغبَته بالخَطيئةِ أدّت إلى قتلِ طفلٍ بريءٍ لا ذنبَ له، وأيضًا خوفُ [سام] من العِقابِ دفعهُ إلى لعبتِه التي قَتلَت روحَ [سارة] وعَفويّتها.

انتابَها إحساسٌ بالحيرةِ والعَجز فتذكّرَت قولَ [سام] في بدايةِ رِحلتهما: "كيف لنا أن نَستَنشِق النّسيان والهَواءُ ملوّثٌ بالذّكريات فهي تُجبِرنا لنَتذكّر وكأنّها تَلعنُنا على أفعالِنا البَغيضَة والتي نُجهِدُ أنفسنا لنِسيانِها لنَستَطيع فتحَ صفحةٍ جديدةٍ ستَمتَلئُ بالذّكريات اللّئيمَة".

قالت [سارة]: 'ربّما هو على حقّ وربّما يجبُ عليَّ أن أكونَ أكثرَ إيجابيّة وأحاوِل أن أُخلّص ذاكِرتي من تِلك الأحداث التي اعتَرتْها'.
سَمعَت [سارة] صوت فتح الباب من خلفها وعرفَت أن [سام] قد عادَ ومَعه العَشاء فتَحدثَت [سارة] بسُرعة: "إلى اللّقاء أمّي لقَد عاد [سام]".

أغلقَت الاتّصال ولم تَدَع والدتها تُودّعها، وضعَت الهاتف في جَيبِها وتَقدّمَت نَحو [سام] لتُساعِده في حَمل الأغراض، لم تكُن كثيرة، ولكنها اعتادَت على مُساعدتِه وكَعادة [سام] قال لها بصوتٍ خافتٍ والحُزن بداخله: "شُكرًا لك عَزيزتي".
وَضعَت الأغراض على الطّاولة وبدأَت بإخراجها ببُطءٍ لتَنهالَ على أنفِها العَديد من الرّوائح الجَميلَة من المأكولات الشّعبيّة بهذه الجَزيرَة بدءًا بالأكل وقرّر [سام] أن يتَحدّث بالذي حدثَ معهم جميعًا: "لقد كان شيئًا مُريبًا أن نرى في الوَقت نفسِه أحلامًا في وَقت صَحوتِنا فهذا شيءٌ غريبٌ جدًا جدّا ولا يُمكنُني إيجاد أيّ موضوعٍ مُتَشابه مع هذه الحادثة".

أَومأَت [سارة] برأسِها وكأنّها لم تكُن تَستمِع لحَديثِه وأكمَل: "ما أثارَ في قلبي الرّعب هو أنّ الأمرَ لم يَحدُث للجَميع، فقَط السّياح منّا أمّا السّكان الأصليّون فلم يَحدُث لهم شيءٌ، هذا يَومنا الثالث وحدثَ الكثير؛ مَوتُ قسِّ هذه الجَزيرةِ وبالمناسبة غدًا الجَميع سيَذهبون للكنيسَة".

نظرَ إلى [زَوجتِه سارة] التي كانت هائمةً في أفكارها، شعرَ بالغضَب وضربَ الطّاولة بقوّةٍ شديدةٍ لتَخافَ [سارة] وتنظُر إلى [سام] ودقاتُ قلبِها تَتسارَع، نهضَ [سام] عن الكرسيّ ولم يُكمِل أكلَه، ذهبَ إلى الغُرفة وأغلقَها بقُوّةٍ وأقفلَ الباب ليَترُك [سارة] مع عَشيقِها السّابق "الذكريات!"، كانت [سارة] تشعرُ بالخَجلِ من [سام] لأنّها لا تَستَطيع إسعاده فأفكارها مُشوّشةٌ و إحساسُها بالذّنبِ والعَجزِ يُسيطِر عليها.

تركَت العَشاء على الطّاولة وخرجَت من الغُرفة وبداخلها الكثير من الحُزن، بدأَت دُموعُها بالتّساقُط بالتّدريج وأخذَت تَمسَحها كلّما مرّ شَخصٌ بجانبها وهم يَنظرون إليها بشَفَقةٍ، وَصلَت إلى قاعةِ الاستِقبال ورأَت [امرأةً] كَرهَتها بشدّةٍ ولم تُرِد أن تَرَها بتِلك اللّحظة في ضَعفِها فمَشَت من أمامها، ولكنّها لَحِقتْها وأَمسكَت بيَدها لكي تُوقِفها فصَرخَت [سارة] عليها: "اترُكيني وَحدي يا [سيلا]!".

أبعدَت [سيلا] يدَها عنها بعد أن رأَت كلّ من كانوا مَوجودين في القاعة يَنظُرون إليها وهم يَعرفون ما حدَث بينَهما في السّابق، رَحلَت [سارة] ولَحقَتها من خَلفِها لتَخرُجا للخارج أَصبحَت تُماشِيها بالسُّرعَة نفسَها فقالَت [سيلا] مُعترِفة: "لا أُحبّ أن أرى أحدًا حَزينًا".

التَفتَت إليها [سارة] بغَضبٍ: "ولكِن تُحبّين أن تَسرقي النّاس!!".

أَمسكَت [سيلا] يدَها بقوّةٍ ولكنَّ مَلامِح وَجهِها كانت صادقةً: "أُقسمُ لك أنّني لم أَسرقها، كلُّ ما حدَث أنّني رأيتُها على الأرض وأخذتُها ولَبسْتها لكي حينَ يَراني مالك تِلك القلادةِ يَعرِفني ويحدّثني عنها لكي أُعطيَها له".

لم تُصدّق كلامها [سارة] فقالَت: "كان لديك حلٌّ آخر! كان يُمكنك أن تُمسِكيها بيدك وتَذهبي لسُؤالهم شخصًا شخصًا حتَّى تجِدي صاحبها".
ضَحكَت [سيلا] وقالت: "وإن قال شخصٌ إنّها ملكه وهي ليسَت ملكه ولم تَصِل لصَاحِبها؟!".
هلم تتَحدّث [سارة] فكلامها صَحيح لحدّ أنّها تُريد أن تَعتذِر عن فَعلتِها القَبيحَة وتَعَجُّلِها، ولكن لم تتَحدّث معها فمَشت بعيدًا عنها تاركةً إيّاها، و[سيلا] لم تَلحقْها فهي قد بادرَت بالحَقيقَة والباقي عليها لتَصديقِها أو عَدمِه...

12

إن وَجدتَّ في حياتِك شيئًا يَستَحقّ الجميع مَعرفتَه يَجِب أن تَتعلّم ألّا تُخبِر به أي أحدٍ وإن كانوا من أفراد عائلتك فالأشياء الجَميلَة لا تُخلّد بأذهانِنا إلا عندما نتذكّرها وَحدَنا ونَعرِف أنّنا نَحن فقط مَن نعرفها فهذه ليسَت بأنانيّة بل هي حِفظ الذّكريات الجَميلَة...

قبل يومين . . .

نهضَ [أركون] من سَريرِه بعد أن أَزعجَه رَنينُ هاتفِه، أمسكَه ثمّ أجابَ بسرعة

[أركون]: "أهلًا سيادة الجِنرال جون".

[الجنرال من الهاتف]"هل أنت جاهز؟".

تنَحنحَ [أركون] لكي يَجعَل صوتَه أكثر جِدّية: "نعم يا سيّدي".

[الجنرال]: "حسن، ستُرسِل لك [سوزي] التّحديثات وكلّ المَعلومات التي تَحتاجها لفَكّ ذلك الكَهف، يجِب أن تتَوخّى الحذَر، لقَد رَصَدنا دولة مُعاديَة تَرشُو بعض السكّان لمُراقبَة الكَهف وحِمايتِه لهذا انتبِه وكُن حَذرًا".

أغلقَ الجِنرال الاتّصال ووضعَ [أركون] الهاتف على المِنضدةِ ثمّ أخرجَ لابْتوبه المَحمول وفتحَ أحد البَرامِج السريّةِ ودخلَ على شبكةٍ سريّةٍ فأتتْه رسالةٌ على البَريد ليَفتحَها ويَجِد كلّ ما يَحتاجه، قرأها أكثر من مَرّةٍ إلى أن حَفظَها ثمَّ أغلقَ اللابتوب ووَضعَه تحتَ السّرير ثمّ أخذ حقيبةً وَضعَها في الأسفَل مُسبقًا وفتحها ليُخرِجَ مُسدّسًا صغيرًا خَفيفَ الوَزن ووَضعَه خلفَ ظَهرِه ثمّ نهضَ ليَذهبَ إلى دورةِ المياه، غَسلَ وَجهَه ثمّ نَشّفه وخرَج خارج الفندق وبدأ يتّجه داخل الغابة وبمُنتصَف طريقِه رأى القسّ مُنزلًا رأسَه يتَمشّى ومِن حُسنِ حظّه لم يَشعُر بوجوده فأكمَل طَريقَه ووَصلَ لطَرَف الجَزيرةِ ورأى مكانًا مميّزًا مثل ما كان مَوصوفًا مِن قبل [سوزي]: "مكانٌ لا أشجارَ حَولهُ وكلُّ مَن يقترِب منه يَشعُر بتِلك الطّاقة المُخيفَة وكأنّها تُريد التّحرّر!".

وتُوجَد حجرةٌ ضَخمةٌ تقدّم إليها وبدأ يُلامِسها فانتَابه شعورٌ غريبٌ، ابتعدَ عنها قليلًا وخلعَ ما كان يَلبِسه فوقَ جَسدهِ وأخرجَ إبرةً من جَيبِه فغَرَزها في يَده ليَسقُط بسُرعةٍ على الأرض ويَرتجِف بشَكلٍ مُريبٍ، ومِن حُسن الحظّ أنّه لم يكُن هناكَ أيّ شخصٍ في المنطقةِ لكانوا اعتَقدوا أنّهُ يَحتضِر وبشكلٍ سَريعٍ رتوقّفَ عن الارتجافِ ونهضَ من مَكانهِ ووقّتَ بساعته 10 دقائق، ذهبَ لصخرةٍ وبدأ يبحَث عن مكانٍ مُميّزٍ به رأسُ بشريٍّ،

ولمّا وَجدَه جهّز قَبضَته وضَربَها بقوّةٍ لتَتفتّت ويَخرُج شيءٌ مثل الزرّ فضَغَطَ عليه لتَبدأ الصّخرةُ بالنّزولِ تحت الأرض، سمعَ صَوتَ انكسارِ غُصنٍ من خَلفِه، التفتَ بسُرعةٍ ورأى شَخصين متلثّمين ويُمسكانِ أَسلِحةً ويُشيران إليهِ، تحدّث أحدُهما وقال: "توقّف مَكانَك ولا تُفكّر أن تَتحرّك!".

أَومَأ الرّجل الذي تَحدّث برأسه ليَتقدّم صَديقُه لكي يأخُذ السّلاح من خَلف ظَهر [أركون]، أخذَ السلاح ثمّ عادَ إلى جانب صديقِه ورَمى السّلاح بعيدًا فقال له: "تراجَع للخَلف بهدوءٍ ولا تُفكّر أن تفعلَ شيئًا تَندَم عليه".

بَدَأ [أركون] بالتَّراجُع للخَلف والدُّخول إلى الكَهف فقال [أركون] بسُخريَة لهما: "هل يُمكنني الالتِفات كيلا أتعثّر بسبَب الصّخور؟".

تَحدّث أحدُهما: "نعم يُمكِنك ولكن كُن حَذرًا؛ فأيّ حركةٍ مُريبةٍ ستَقتحِم رصاصةُ الأكوستدين رأسك لكي تَعلَم أنَّ تلكَ الإبرَة لن تَنفعَك وأنتَ تفهَم ماذا ستفعَل مادة الأكوستدين عندما تَدخُل بجَسدك".

ارتـابَ [أركون] مـنهما، بـالـفِعل يـجِب ألا يُـطلِقا عـليه الـرّصـاص لأنّـه سيَموت فـالـتفَتَ ودخـلَ إلـى الـكهف، كـان مُـمتدًا إلـى الأمـام ولا يُـوجَـد شـيءٌ غـريـبٌ أو مُـخيفٌ مثل شَكله، وَجدَ حجرةً سوداءَ تَطفو، ابتَسمَ وتذكّر كلامَ [سوزي]: "لا تُحاول لمسَ الحجرةِ بيدك مَهما مَا حدَث!".

تقدّم [أركون] إلـى الحجرة فطَلبا منه التوقّف ولكن لـم يـتَوقّف إلـى أن أطلقَ أحـدُهما الـنّار عـلى الجِـدار لـكي يُـخيفهُ، وبسُرعةٍ عـاليةٍ الـتفتَ وهجـمَ عـلى أَحدهما وضربَ السّلاح برِجلِه ليَسقُط على الأرض، وأمسكَ عُنُق الآخر ورَفعَه عن الأرض وضرَبَ رأسَه بالجِدار ليُغمى عليه والآخر حاولَ أخذَ سِلاحَه ولكنّهُ لم يتَمكّن من ذلكَ، كان [أركون] له بالمِرصاد وضرَب بطنَه ليتوقّف عن الحركة لفترةٍ بسبب قوّةِ الضّربةِ التفتَ إلى الحجرة وهو يَبتسِم بفرَحٍ، تَقدّم إليها وشعرَ أنّه يُريد لَمسَها بأيّ طَريقةٍ ولكن تذكّر مرّةً أخرى كلامَ [سوزي] وبدأ يهزّ رأسَه فابتَعدَ خطوتين للخَلف وأخرجَ من جَيبِه قُفازًا بشكلٍ غريبٍ مُخصصًا لحَملِه هو فقط وهو يُجهّز يده ليَلبِس القُفّاز أتَت طَلقةٌ على رِجلِه ليسقطَ ويسقط معه القُفّاز ودونَ شُعور منه أَمسكَ بالحجرة السّوداء التي تَطفو ليَحدُث انفِجارٌ باللّون الأحمَر وتَخرُج صرخةٌ عاليةٌ!! مِن شيءٍ كأنّه تحرّرَ للتوّ.

ربّما هذا هو حَجر ألارزايا الذي يَحمِل أسطورةً مُخيفةً، هل حقًّا كانَ [أركون] يعلمُ بوجودهِ؟ وهل تلكَ الجرائم التي تَحدثُ في الجَزيرةِ إنذارُ شؤمٍ ليُنبِئنا بحدوثِ كارثةٍ مُخيفةٍ كما تقولُ الأُسطورةُ؟

13

في الوقت الحالي

- "عَزيزَتي هل أنتِ جاهزَة؟".

قالها [ديفيد] [لِزوجَتِه سأفانا] وهي بداخل غرفة النّوم وهو بالصّالة فأتى صوتها خفيفًا وهي تقول: "نعم فقط عدّة دقائق وسنَخرُج".

[ديفيد]: "عزيزتي نحن لن نذهَب إلى مَوعِد بل إلى الكنيسَة لنَحضُر دِفان القسّ".

خرجَت [سأفانا] من الغرفَة وقالت: أعلم ذلك، ولكن يجِب أن أكون مُتألّقةً".

ابتسم [ديفيد] وقال: رغم كبرك بالسّن إلا أنّ جَمالَك لم يتَغيّر".

تمسّك جَيّدًا بالكوب الذي بيده وجلسَ على الأريكة التي بقُرب النّافذة وبدأ يتَمعّن بها، رشفَ رشفةً من الكوب وأخذَ عدّة دقائقَ ينتظِر زوجتِه التي لم يتغيّر شُعوره تِجاهها على مرّ السّنين، لا يزالُ يَنتظِرها بترقُّبٍ وشغفٍ،ينتظرها ليُجدِّدَ حبّه لها في كلِّ مَرحلةٍ مِن مراحلِ الحياة، ما زالَ يترقّبُ حُضورها كعاشقٍ ينتظرُ سماعَ خُطواتِ مَحبوبتهِ؛ تلك الخُطوات التي ستُنعِشُ قلبَهُ،

ها قَد سَمعَ صوتَ الباب يُفتح وصوت حَركة من خلفِه، نهضَ بتَثاقلٍ والتفتَ إليها ودقّات قَلبِه تَزداد، التقَت عيناهُ بعَينَيها وابتسمَ لها وقال [ديفيد]: "فُستانكِ الأسوَد، لطالما أَحببتُ اللّون الأسوَد بسببك".

ضَحكَت [سأفانا] برِفقٍ وأجابتْه بحياءٍ: "هيا لنَذهَب، أعتقِد أنّنا تأخّرنا بعض الوَقت".

[ديفيد]: "لا مُشكلَة لدى جثّة القسّ أن تنتظِر قليلاً ليَخرُج القمَر من غُرفتِه".

أثارَها كلامُه وأدخلَ الفرحَ لقَلبها، إحساسٌ مَمزوجٌ مِن الغبطةِ والثّقةِ والعِشقِ فما زالَ ذاك الرّجلُ الذي تيّمَ قلبَها وما زالَت تِلكَ الفتاة التي أسَرَت فؤادهُ. تقدّمَت إليه بعد أن مَلأَ الخَجلُ وَجنَتيها وضَربَت كتفَه بمِزاحٍ وقالت: "[ديفيد] توقّف عن ذلك".

خرجَا خارج غُرفتهما وذهبا إلى قاعة الاستِقبال، كان هناك [كريس] و[سام] ومن الجِهة الأخرى أخذَت الفتيات مكانًا لهنَّ وكانت [سيلا] برِفقَة [جيرمي] متألّقةً وبجانبها [سارة] يضحكون، تبسّمت زوجة [ديفيد] وذهبَت نَحوهنّ و[ديفيد] اتّجه لـ [كريس] "وقال لهم وهو ينظُر إلى زوجتِه تَذهب

[ديفيد] مبتسم: "أعتقِد أنّهما تَصالحَتا".

قال [كريس] ونظرُه لم يَبتعِد عن [زوجته سيلا]: "لا يهمّ".

فقال [سام]: "نعم أتّفِق مَعك؛ لا يهمّ".

رفعَ [ديفيد] كلتَا يديه ووَضعَهما على كتفيهما ومشى بهما للخارج:

"إذَا كان لا يُهمّكما فاستَعيدا تَركيزَكما ولنذهَب إلى الكنيسة فلم يتَبقَّ الكثير على الغُروب".

1

وَصلوا إلى الكنيسَة، كان أهالي القريَة متجمّعين، بعضهم كان يبكي والبعضُ الآخر يتحدّث عن القسّ وما فعلَه من خيرٍ وكيف أسعدَ الكثير منهم وأعادَ علاقاتٍ كانَت على وشَك أن تنتهي مع أزواجهم أو مع عائلاتهم، جلسَ بعض السّياح على الكراسي وأصبح المكان هادئًا جدًا، تقدّم أحد شيوخ القرية إلى الصّليب وقال بصوتٍ مُرتجفٍ: "لقد ماتَ شخصٌ عزيزٌ علينا ويجِب ألا ننسى دُعاءنا له، كلٌّ منّا يَحمِل له ذكرى لن ننساها، كلّ غنيٍّ وكلّ فقيرٍ يحبّه، ولهذا يجب على كلِّ مَن يُريد أن يُلقي ذكرى جميلة له معه فليتقدّم".

بعد أن انتهى الشّيخ عادَ إلى كرسيّه وجلسَ ليَنهضَ شابٌّ جميلُ الملامح وذهَب قربَ الصّليب وتحدّث عمّا فعلَه له القسّ وعندما انتهى نهضَ شخصٌ آخر وآخر إلى أن غَربَت الشّمس وبدأَت تُمطِر بعنفٍ في الخارج، وتحدّث أحدُ [رجال القرية] يُطمئِنُ السُّيّاح بوقوفه عند الصّليب ويقول: "شكرًا لحضوركم، نحن مُمتنّون لكم ولكن يجِب أن تَبقَوا هنا لحِمايتكم من العاصِفة التي ستأتي ويجِب ألّا تَخرُجوا للخارج وتَعودوا إلى الفندق إلا عندما تَهدأ العاصِفة، والآن بعضنا سيَحمِل التابوتَ وندفن القسّ ثمَّ نعود إليكم ببَعض الأكل والمِياه الصّالحة للشُّرب فنحنُ في خدمتكم".

نهضَ [كريس]: "أيّها الكَريم إن أردتَّ المساعدة منّي فلا تخجَل من طَلبها فكَرمكم يُدرَّس".

ابتسمَ [الرّجل] وقال: "شكرًا لك أيّها الطيّب، ولكن لدينا الكثيرُ من الشباب هنا لا يُريدون تَفويت مُساعدتكم".

عاد [كريس] إلى مَقعَده الذي بجانب [سام] فالتفتَ إليه: يبدو ذلك القسّ أنّ الربّ يُحبّه لهذا الحدّ جعل أحد جنوده يبكي عليه كمَا أعرف أنا أنّ الجزيرة نادرًا ما تأتي عواصف عليها أو تُمطِر أمطارًا قويّةً".

تدخّل [ديفيد] وقال: "الموضوع ليس هكذا دائمًا، الجُزر تمُرّ بالعَواصِف لأنّها تقعُ في وسط البحر أو في بعض الحالات قَد تَكون عاصفة مُفتعلة من الشّيطان".

اختَلجَ قلبُ [سام] بعد أن سمعَ كلمة الشّيطان وقال بخوفٍ: "أنتَ تمزَح صَحيح؟".

ضحك [ديفيد] وضربَ كتف [سام] بمزاحٍ وقال: "نعم أمزحُ معك".

2

دخلَ رجال القرية وحمَلوا تابوت القسّ وذهبوا ناحية المَقبرَة وهم في الطّريق كان المَطرُ يَزداد بقوةً، تبلّلَت مَلابسُهم وأصبحَت لا تَحميهم من الهواء البارد، وبعد عدّة دقائقَ من المَشي وصلوا إلى مكان دفنِه ولكن أوقفَهم المَنظَر...

كان القبرُ مُمتلئًا بالماء، قال أحد الرّجال بصوتٍ عالٍ لأنّ المَطر يضرِبُ الأرض بقوّةٍ ويُخرج صوتًا عاليًا: "لا يُمكننا دَفنُه هنا! يجِب أن نعود".

فأجابَه أحدُهم: "ولا يُمكننا العودَة به أصبحَت أيادينا لا تتَحمّل مسك التابوت بسبَب الماء، أصبحَ زلِقًا، قد يسقُط علينا في الطّريق!!".

تحدّث (الشابّ) الذي كان يحمِل دائمًا حقيبةَ القس: "لا يُمكننا تركُه هنا، تعرفون الذئاب الضالّة، قد تأتي وتفترِس جُثّتَه، يجب أن يبقى أحدنا هنا لحِمايته إلى طلوع الشّمس أو تَوقّف المطَر وأنا مدين له بالكثير وهذا أقلّ ما أُقدّمه إليه".

تَحدّث أحدُهم: "هل أنت واثقٌ ممّا تُريد فِعله؟!".

أَومأَ برأسِه بالمُوافَقة وربّتَ الرّجل قبل أن يرحَل على ظهرِه وقال: "ليُباركك الرّبّ يا طون".

هـمّوا عـائـديـن لـلكنيسة وجـلسَ طـون عـند شجـرةٍ سـتَحميهِ مـن المـطَر الـقويّ وبـعد مَـشيِهم المُسـتمرّ سَـمعوا صـوتًـا مُـدوّيًـا عـلى آذانـهم فـالـتَفتوا ورأوا صاعقةً تضرِب المقابر بقوّةٍ وكأنّه يوجَد تيّارٌ مِن الصّواعق حول المَقبَرة، عاد الرّجـال إلـى المقبرة فتقدّم أحدهم للدّخول ولكن فور لَمسِ رِجله بوّابة الدّخول لـلمقبرة سـقطَ عـلى الأرض مَـغشيًا عـليه، تـقدّم أحـد الـرّجـال لـيَدخـل ولـكن أمسَكوه ولم يَسمَحوا له أن يتَقدّم ليَلقى حَتفَه، بَدؤوا بالبَحث عن طونِ الذي لا يُوجَد له أثر..!!

3

قال [سام] بخوف: "الوَضع مُرعبٌ يا [كريس]".

فأجابه [كريس]: "لا تقلَق، لن يأكلونا فهم لَيسوا زومبي".

اعتدلَ [سام] بجِلستِه باهتِمامٍ: "هل الزّومبي حقيقيون؟!".

[كريس]: "بالتّأكيد لا أيّها الغبيّ فهم ضَربٌ مِن خيال رجل قد ماتَ منذُ زمنٍ طويلٍ".

تنفّس [سام] بعمقٍ ثمَّ قال: "هل تُصدّق أنَّ العرَب الأغبياء يُصدّقون تلك الأفلام؛ فبَعضُهم يتَخيّل ويبني أحداثًا بعَقلِه ولكن لم أرَ أحدَهم يتَجرّأ ويكتُب عنهم".

ضحك [كريس] وقال: "وما دخلنا بالعرَب الآن؟ هل تُريد تَفجير نفسك؟؟".
ضحك [سام]: "بالتأكيد لا، ولكن أنت تعلَم لقد قرأتُ ممّا يكتبونه وأكثر شيءٍ يُلفِت انتباهكَ أنَّ أفكارهم تَدور حولَ السّحر والجنّ والشّياطين ويُؤمنون بهم

بشكلٍ غبيّ جدًا، ولكن لم أرَ أحدًا يكتُب عن أشياء خارجة عن الطّبيعة مثل الكُتّاب الذين لدينا فهم مُبدِعون".

تدخّل [ديفيد] وقال: "هل تُجيد اللّغة العربيّة؟!".

[سام]: "نعم لقد دَرستُها، كنت في صغري مهتمًّا بها وبحروفها الكثيرة؛ فهي تَستحقّ ذلك".

[ديفيد]: "هل يُمكنك التّحدّث بها أم فقط القراءة؟".

[سام]: "لا للأسف لا يُمكنني التّحدّث، ولكن أفهم إن تَجرّأ عربيّ غبيّ أن يَقذفَني على رأسي أو يجعلَ نفسَه ذكيًا، ويُمكنني القِراءة بشكل جيد".

[ديفيد]: "أنت تتذكّر أنني تَحدّثتُ عن قَتل الأبرياء".

[سام]: "نعم أتذكّر وما به؟".

[ديفيد]: "لقَد كنتُ جُنديًا في المُنشأة التي هَجمَت على العِراق حيث إنّهم أَخبرونا عن وُجود أسلحةٍ نوويّةٍ وأنَّ العراقيينَ يَحمِلون كثيرًا من الأشياء السّيئةِ تجاه دولتنا الولايات المُتّحدة الأمريكيّة ولهذا أرَدنا تدمير العِراق بكلّ غضبٍ عن بكرة أبيها"

[سام]: "نعم يَستَحقّون ذلك وبقوّةٍ إن كانوا يَحمِلون كلّ ذاك الحِقد ناحيتنا!!!".

بدَا الحزنُ بوجه [ديفيد] المُجعّد: "ولكن ما اكتَشفتُه بعد فترة أنّهم خدَعونا جميعًا، بَحَثنا بكلّ الأماكن وفي كلّ زاويةٍ ببيوت الناس ولم نجِد أسلحةً إلا تلك التي أرادوا حِمايةَ أنفسهم بها منَّا فكان لهم الأحقيّة بذلك ولهم الأحقيّة بتَفجيرنا بعدما سبّبنا تِلك المَصائب عليهم فهم لا يَستحقّون، العرَب رجالٌ أشدَّاء وليسوا جَميعُهم إرهابيين".

تغيّرَت ملامحُ [سام] وحزنَ [كريس] على كلامه فشعرَ بكلّ حرف وكلّ ندَم على ما فعَله أراد أن يُطبِطب على ظَهرِه، ولكن نهضَ [ديفيد] ماسحًا دُموعَه ليَخرجَ ويأخذ هواءً نظيفًا، خرج ورأى الرّجال الذين حَملوا التابوت يَركُضون ويَصرُخون بقوةٍ والخوف على ملامحِهم، دخلوا للدّاخل، حاولوا أخذ نَفسٍ عميقٍ قبل التّحدّث ولكن لم يتمكّن أحدُهم من التحدّث لِما رأوه قُرب الصّليب! تجمّد الجَميع ولم يتَجرأ أحدٌ على التّحرُك، كان يوجد شيء حالك السّواد يَزحَف صُعودًا على الصّليب، نهضَت [سيلا] من مَكانها برعبٍ وصرخَت صرخةً عاليةً جعلَت الجميع يَستَعيدون جَأش أنفسهم ويُحاولون الخُروج ولكن انغلقَ الباب عليهم وبدأَ [ديفيد] يُحاول فتحَه ولم يتمكّن من ذلك،

بدأَ الناس بالبُكاء و[جيرمي] ذهب والتصقَ بوالده و[سيلا] سقطَت على الأرض تَبكي ولم تتَحرّك مرّة أخرى ابتلعَ ذلك السّواد الصّليب واكتسبَ منه الحَجم، وكأنّ الصّليب قد تكوّن لجسدٍ بشريّ، بدأ يتّجه نحوهم، حيث كانوا يَلتصِقون بعضهم ببعضٍ و[سيلا] على الأرض، سقطَ [كريس] على الأرض ولم يرَ ابنَه بجانبه فتمكّن من رُؤيته بجانب والدته يحضُنان بعضهما بعضًا وذلك المَخلوق يقترِب منهما بعد أن تشكّلَ بهيئة رجلٍ وأمسكَ عُنقَ [سيلا] ورَفعَها عن الأرض وكأنّها رِيشَة، قرَّبها من وَجهِه وهي تَصرُخ تترَجّاه أن يتركها، ودون سابق إنذارٍ، تشكّل بوَجهِه الأسود عينان بيضاويتان وجعل وَجه [سيلا] أمام عينَيه والتي بدأَت تَصرُخ بقوّةٍ وكأنّها تُحارِب شيئًا بداخلها، وبعد ثوانٍ توقّفَ صُراخها فخرجَت ابتسامةٌ بيضاء منه وأمسكَ جَسدَ [سيلا] من كَتفيها وخلعَ نِصفيها بعنفٍ ووَضعهما بقُرب جَسدِه والذي استقبله بكلّ بساطةٍ والتَهمَها فكَبر جَسدُه!، نهضَ [جيرمي] برعبٍ يُريد حَضن والده، بدأ يركُض نحوَه ولكن لم يتمكّن من الوُصولِ إليه فصرَخ [كريس] بقوة وبدَأ يبكي: "[جيرمي]!!!!".

ما أصعبَ أن تكونَ في حَضرةِ الموتِ مع مَن تُحبّ، كم تمنّى [كريس] لو أنّ زوجتَه بقيَت على قَيد الحياةِ مع كلِّ ما كانَت تُسبّبه له مِن مَتاعِب، كم تمنّى أن يَحتضنَها هي و[جيرمي] رغم رائحتها التي تُشبه السّمك كما كان يقول دومًا، لم يُدرِك [كريس] غلاوةَ زوجتِه قبل ذلك، لم يتَمكّن من قَضاءِ وقتٍ مع [جيرمي] على هذه الجَزيرةِ، لم يتمكّن مِن سماعِ أسئلتِه الاستِكشافيّة.

أمسكَ ذلك المَخلوق [جيرمي] بيده المُمدّدة برأسِه وفصلَه ورَماه وراءَه دون اهتمامٍ فارتَطمَ جَسدُه في بِركةِ المياه المقدسة وبدأَت بالفوَران.

ومن القُرب كان ذلك المَخلوق يتقدّم نحوَهم وبكلتَا يَديه يُمسِك الأشخاص ويقتُل من يُمكِنه ويُلصِق أجسادَهم بجَسده ليَكتسِبَ منهم الحَجم، أمسكَ بـ[ديفيد] وزوجتِه وضغطَ على عُنقيهما بقوّةٍ كبيرةٍ عالية لحَدٍّ أنّه كاد يَفصلهما ولكن تَركهُما بعد أن بدأ جَسدُه بالتقلّص نظرَ تحتَه ورأى المياه المُقدّسة تُحرقُه

فقال [المخلوق] بصوتٍ مُخيفٍ وعالٍ: "مياه مقدّسة!!!".

قفزَ فوق الكنيسَة وهربَ بعيدًا عنهم وتركَ [ديفيد] وزَوجته يتنفّسان بثقلٍ!

14

يَتوقّف [المُذيعُ] مُتألّق وأمامَه كاميرا ويُمسك بيده مُسجّل الصّوت ويقول بحُزن: "كانت الدّماء في كلّ مكان لقد حدثَت مَجزَرة مُخيفَة في الكنيسَة، شيءٌ لم يُفترَض أن يَحدُث بالأساس لقد تلطّخَ بيت الرّبّ بدِماء الأبرياء أتمنّى من الرّبّ أن يسامحَهم ويَغفرَ أخطاءَهم، إلى الآن لا نعرِف كثيرًا عن الجريمَة التي حدثَت، ولكن كمَا تَرون "اتّجه المصوّر إلى الكنيسَة وكان رجال الشّرطة والأطبّاء"، لشّريف يتَحفّظ عن إخبارنا، ولكن سنحاوُل إخباركم بكلّ شيء بسُرعة. بلعَ المُذيعُ رِيقَه وقال آخر كلماتِه: "مَعكم محطّة ديلي كونت الإسكُتلنديّة نراكم على خير...".

1

يَترجّل [الشّريف] عن حِصانِه قُرب الفندق الذي يَقطنُ به السّياح، يدخل للدّاخل ومثلما طلبَ من إدارة الفندق يُجمَع الجميع في قاعة الاستقبال ليَطرحَ عليهم بعض الأسئلَة ويَستجوِبهم، كان الجَميع ينظُرون إليه وينتظِرون تَفسيرًا لما حدَث، ولكن مشى دون أن يُلقي تحيّةً على أحد، وذهب إلى مَكتب مُدير الفندق، طرقَ الباب عدةّ طرَقات وسمعَ صوت [المُدير] يقول له: "تفضّل".

دخلَ [الشّريف] ورآه [المُدير] فنهضَ احترامًا له رغم أنّ المُدير أكبر سنًّا، تقدّم [الشّريف] وجلسّ على الكرسيّ وقال: "هل جميع السيّاحِ مَوجودون هنا؟ ❞ لم يَرحَل أحد؟!".

قال [المُدير] بتوتُّرٍ: "الجميع هنا باستِثناء [كريس] الذي تُوُفِّيت زوجتُه وابنه في تلك الحادثَة؛ لم نُجبِره على النّزول لكي يأخذ وقتَه".

[الشريف]: "حَسنًا، لا مُشكلة، أريدُ أن أضيفَ لك شيئًا".

عدَّل [المُدير] من جِلستِه وقال: "نعم، تفضّل، أيّ شَيء تُريده سيحدُث"

أخرجَ [الشّريف] ورقةً من جيبِه وأعطاها للمدير: "لقد تحدّثتُ مع المَحكمَة العليا وأَخرجتُ ورقةً لمَنع السيّاح من الخُروج من الجزيرة إلى أن نَنتهي من التّحقيقات اللّازمة ونُمسِك المُجرِم".

[المدير]: "ولكن سيّدي لا يُمكنني فعل ذلك فبعضهم قد يكون لديه التِزامات حياتيّة تَمنعُه من البَقاء هنا!".

ابتسمَ [الشّريف] وقال: "لم أطلُب مِنك إبقاءهم، تلك الوَرَقة تَكفي ويجِب أن تُنوّه أنّ كلّ من يُحاول أن يَهرُب قبل الإمساك بالمُجرِم سيُعتبرُ مُذنبًا وشريكا بالجَريمَة وسَيتمّ التّحقيق معه وسَجنُه".

بدَأ [المدير] يتعرّق: "ولكن سيّدي لا يُمكنك فعل ذلك، ستُدمّر سُمعة فُندقي!".

ضربَ [الشّريف] الطّاولة بقوّةٍ وقال: "تبًّا لفندقك لا يُهمّني ذلك، هناك بالخارج قد يكون المَجرم طليقًا ونحن لا نعرِف عنه شيئًا ولا يُمكنني إرضاء غَريزَتك في تَجميع المال، لديّ كثيرٌ من الأشياء يجِب أن أفعلَها بعد عدّة أيام سَيأتي الإنتربول الإسكُتلنديّ والأمريكي للتّحقيق في ما يجري ويجِب أن أخرجَ كلّ المَعلومات اللّازمة لهم!".

أخرجَ [المدير] من جَيبهِ مِنديلاً ومسحَ وَجهَه به وقال بخُشوع: "كمَا تُريد سيَحدُث".

[الشريف]: "حسنًا، الآن دَعهُم يَدخلوا هنا لكي أسمَع من كلٍّ منهم ما جَرى في تلك اللّيلة".

[مدير الفندق]: "والسكّان الأصليون هل سيتمّ التّحقيق معهم؟".

قال [الشريف] بهدوءٍ: "نعم كلُّ مَن كان في الكنيسَة وكلُّ مَن اقتربَ سنُحقّق معه لا تقلق".

خرجَ [المديرُ] خارج الغُرفَة ونهضَ [الشّريف] عن كرسيّه وجلسَ على كرسيّ المدير وبدأ ينتظِر دخول أوّلِ شخصٍ، كان شيخًا كبيرا،

حزينًا حُزنًا شديدًا، جلسَ في المكان الذي جلسَ فيه سابقًا فتحدّث

[الشّريف]: "أتمنّى أن تجدَ السّلام بعدما رأيتَه".

[العجوز]: "نعم أتمنّى ذلك".

[الشريف]: "أُريدكَ أن تُخبرَني ماذا رأيت؟".

[العجوز]: "كيف أصفُ لك ذلك السّواد الذي لا يُشبِه أيّ شَيء في هذه الحياة؟ لقد كان في البداية يَزحَف إلى الصّليب الذي بالكنيسَة ثمّ عندما ابتلعَه بدَأ يأخُذ تَشكلاً مثل جَسدِ البَشريّ لكنّهُ غير مُكتمل، كنت أشعُر بالخَوف بتلك اللّحظة لقد أحسَستُ بشعورٍ غَريبٍ، أحسستُ أنّه يَعرِف كلَّ أخطائي الماضية والتي كفَّرت عنها، جَعلَني أَستذكِرها وأشعرُ بالذّنب حيالها ستَكون ليلةً لا تُنسى!".

[الشريف]: "أريدُ أن أعرِف كيف قتلَ المرأة المِسكينة ولماذا هي بالتّحديد؟". "

سَقطَت دَمعَة من جفنِ [العجوز] وقال: "أعتقِد بسبَب صُراخها في البداية؛ فصَرختها هي جعلتنا جميعًا نَستَعيد رباطة جأشنا، جَعلتْنا نَستدرِك ما نراه كأنّنا كنّا مَسلوبيّ الذّهن لا نعلَم ما نراه ولا نعلم كيف نصرُخ أو نتحرّك ولكن فورَ سماعنا لصُراخها أمكَننا استِعادة أنفسنا والتّحرّك للباب والذي انقفلَ من تِلقاءِ نفسِه بقوّةٍ، حاول رجلٌ آخرَ فَتحَه ولم يتمكّن، وبهذه الأثناء كانت تلك المَرأة ساقطةً مُستلقيةً على الأرض لا تَقوى على الحراك، فذلك الشّيء سَلبَها ذِهنها؛ فأمسكَ بعُنقها وبسُرعةٍ مُخيفةٍ فتحَ عينَيه البيضاويّتين وبدأ ينظُر إليها، شعرتُ في تلك اللّحظة أنّه لم يكُن فقط ينظُر إليها هي فقط بل لذُنوبها وكأنّه يَرى أَسوأ ذنبٍ ارتكبتهُ وأرادَ استِئصالهُ،

بعد ذلك أمسكَ بكتفيها وقشعَهما بكلّ بساطة وألصَقَهما بجَسده، لقد كبرَ، رأيتُه يَكبر، ذلك الشّيء ليس طَبيعيًا، هذه الجَزيرة ليسَت طبيعيّةً!! اللّعنة عليها لا أُريد أن آتي مرّةً أخرى ولن أنصَح أيّ صديقٍ بالقُدوم إليها، أريد العودة إلى وطني لا أُريد البَقاء هنا، لا أريد البَقاء هنا!!!!".

وضعَ الرَّجُل يديه على أذنَيه مثل الطّفل الصّغير وأخذَ يهزّ ظهرَه ويبكي، حزنَ [الشّريف] عليه وعرفَ أن كلّ ما قاله لم يكُن ضربًا من الخيال، ولكن يجِب ألَّا يتّكِل على كلامِه

فقال [الشريف] له بصرامَة: "شكرًا على حُضورك هنا وشكرًا لتَعاونك، يُمكنك الذّهاب إلى غُرفتك والارتياح، ولكن لا يُمكنكَ العودَة إلى وطنِك إلّا بعد الإمساك بالمُجرِم، يجِب أن تتفهّم ذلك الشّيء".

2

انتَهى [الشّريف] من التّحقيق مع الجَميع، كلّهم أَخبَروه بالكَلام نفسه وبطَريقة الشّرح المُرعبةِ نفسها، وفي النّهايةِ تُصيبُهم صَدمَة عاطفيّة ويَبدؤون بالبُكاء، خرجَ [الشّريف] من مكتب المدير واتّجه إلى غرفة [كريس]، كان [سام] بالمُقدّمة يدُلّ [الشّريف] على غرفة [كريس]، أوصلَه وقال: "سيّدي هل يُمكنُني الدّخول؟ أعرِف أنّ حالتَه صَعبة ويَحتاج أحدًا يقِف معه فهو أكثر شَخص تَضرّر منّا ويَحتاجُني جدًّا".

أومَأَ [الشّريف] برأسِه وقال: "نعم، هذا كرَمٌ منك؛ أن تبقى مع شخصٍ لا تَربطُك به أيّ صِلةِ مَعرفةٍ وتُساعده في تخطّي ما جرى له".

ابتسمَ [سام] وبدأ يَطرُق باب غرفة [كريس]، ضرب عدّة مرات إلى أن فتحَ الباب له، كان مَنظَر [كريس] جَميلًا جدًّا، مُتألقًا ومُبتسمًا، وكأنّه لم يَحدُث له شيء، استغربَ [كريس] من حُضور [سام] وبجانبه شَريف الجزيرة: "نعم [سام] هل هُناك مُشكلة؟".

تقدّم [سام] أمام أُذن [كريس] وهَمسَ: "[الشّريف] يُريد أن يُجريَ معك تَحقيقًا".

تغيّرت ملامح [كريس] وقال: "عن ماذا؟ لم يَحدُث شيء على الإطلاق؟!".

تَحدّث [الشّريف] وقال بجِدّية: "أتمنّى أن تفسحَ لي الطّريق وتَجعلني أمر للدّاخل أريدُ التحدّث معك عن الجَريمَة التي حدثَت سابقًا".
تراجع [كريس] للوَراء باستغرابٍ وأفسحَ الطّريق ل[سام] الذي دخلَ وخلفَه [الشّريف] ثمّ دخلَ [كريس] وأغلقَ الباب ثمّ قال لهما: "ماذا تُريدان أن تَشرَبا؟".

تحدّث [سام]: "كوبين من الماء أرجوك".

ذهب [كريس] إلى المَطبخ وجلسَ [سام] جانب [الشّريف] وقال [سام] بخوفٍ: "هل [كريس] بخير يا ترى؟!".

[الشريف]: "أعتَقد أنه يمرّ بحالةِ عدَم استِقرار".

[سام]: "كيف ذلك لم أفهَم؟".
[الشريف]: "يعني أنّه ما زال لم يستوعِب تلك الجريمَة التي حدثَت أو أنّه يرفُض تَصديقَها ويجعلها من وَحي الخَيال، يجِب أن تكونَ معه وتُمرّر له الذّكرى بخِفّة ليَستَقبلَها قبل أن تَتفاقَم عليه وتتَحوّل ضدّه".

عاد [كريس] وهو يَحمِل كوبين والابتسامةُ لم تُفارِقه وضعَهما على الطاولة وجلسَ على الأريكة وتنهّد [كريس] ثمّ صرخَ بصوتٍ عالٍ: "[جيرمي]، انهَض، بعد قليل سنَخرُج".

صُدم [سام] و[الشّريف] مما سمعاه من [كريس] فنهضَ [الشّريف] بسُرعة وقال: "هل ابنك هنا؟!!".

وضعَ يدَه عند سِلاحِه ورأى [كريس] ذلك فنهضَ وقال [كريس] بتوتر: "نعم سيّدي هو بتلك الغُرفة ولكن ماذا به، هل فعلَ شيئًا سيّئًا؟؟"

ذهبَ [الشّريف] دون أن يتَحدّث واقتحمَ الغرفة بقوّة وفتحَ الأنوار ثمّ ذهبَ إلى السّرير وسحبَ الفِراش ولكن لم يجِد أحدًا، فدخلَ [كريس] واستقبلَ ذلك المنظَر؛ عدَم وُجود ابنه فقال بصوتٍ خافتٍ وكأنّه بدأ يَستوعِب: "[جيرمي] حبيبي أين أنت!".

سقطَ على الأرض وكرّر الكلمة عدّة مرّات فذهبَ [سام] إليه وبدأ يُربت على كتفه: "اهدأ، كلّ شيء بخير، كلّ شيء بخير صدّقني".

لم يكُن [كريس] على ما يُرام، فقد كانَ جرحُهُ طريًّا، حاولَ استعادةَ ما جرى وانتابَه إحساسٌ بالعَجزِ ممّا حدَث، كانَ مُكبّلًا ولم يَستطِع فعلَ شيءٍ، لم يَقوَ على الحِراكِ ولم يَستَطِع إنقاذ عائلتهِ، رأى شريطَ حياته يُعرضُ أمام عينيهِ مع أصواتِ صرخاتِ زوجته وابنه، ضجيجٌ يجتاحُ تفكيرهُ وخوفٌ يُسيطرُ عليهِ.

3

نهضَ [سام] بعد أن سمعَ صوت شَخير [كريس] وعادَ إلى غُرفتِه فاستقبلتْه [سارة] بحُضنٍ حارٍّ وبدأَت تَبكي: "لقَد رأيتُها تموتُ يا [سام]".

رَبتَ [سام] على كتفِها وسقطَت دمعةٌ منه: "أعلَم ذلك، أعلم ذلك، ولكن أَعدُك أن أحمِلك بروحي إلى مكانٍ أعمق مِمَّا تَظُنّين وأظنّ".

أجلسَها على الأريكة ووضعَ رأسَها على صَدرِه وبدأ يُرتّل تلك التّرتيلة التي تُحبّها:

"يا بحرُ قلْ لي متى الأمواجُ تحمِلُني
أنا الغَريبُ فلا أهلٌ ولا وطنُ
قلبي هنالك لم يَبرَح مراقبَهُ
والحالُ أنّي كما الأمواتِ لي بَدَنُ
أمشي وطَرفي كَليلٌ لا يَرى أبدًا

غيرَ السّوادِ فلا حُسْنٌ ولا حَسَنُ
العمرُ ضاع بذي الأسفارِ يا أسَفي
والأصلُ ضاعَ وضاعَ المُهر والرّسنُ"

بعد أن انتهى نامَت [سارة] بحُضنِه ونهضَ هو من مكانه وذهبَ إلى غُرفتهما وأخَذ الغَطاء وعادَ، ولكن لم يرَ [سارة] نائمة على الأريكة بل نائمة بالهواء وهيَ تَطفو!! شعرَ بخوفٍ يتَسلّلُ إليهِ عندما ارتبطَ الأمرُ بـ[سارة]؛ فمعَ كلِّ ما اقترفَه بحقّها إلّا أنَّ روحَهُ مُعلّقةٌ بها ولا يَقوى على خَسارتِها، بدأ يستعيدُ من ذاكرته القريبَة ما حدثَ في الكنيسةِ، أحسَّ بالخَطَر قال بصوتٍ مَبحوحٍ: "[سارة] [سارة] هل أنتِ بخير!".

لم تَستمِع إليه [سارة] بل أكملَت طوفانًا فذهب إليها ولَمسَها ولكن فورَ أن لمسَها طارَ بعيدًا عنها واصطَدمَ بالجِدار وأُغمِي عليه...!!

4

"أعتقد أنّ هذا هو الخَطأ في العالم. لا أحدَ يَقول ما يَشعُر به، فهم دائمًا ما يَحتفِظون به في الدّاخل. إنّهم حَزينون، لكنّهم لا يبكون. إنّهم سعداء، لكنهم لا يَرقُصون ولا يُغنّون. إنّهم غاضِبون، لكنّهم لا يَصرُخون. لأنّهم إذا فعلوا ذلك، فإنهم يَشعُرون بالخجَل. وهذا هو أسوَأ شعور في العالم. لذلك يَسير الجَميع ورُؤوسهم مُنخفِضة ولا يرى أحدٌ كم هي جَميلَة السّماء".

في ظلامٍ دامِسٍ والهواء كان ضعيفًا جدًّا، فتح [سام] عينيه وقال بارتباك: "أين أنا؟".

نظرَ للعَينين اللّتين أمامه: "مَهلاً من أنت؟".

أتى صوتٌ خافت جدًّا، ولكن من خَلفِه: "أنت في جَحيمِك الذي صَنعتَه لنفسِك".

حاولَ [سام] فكّ نفسَه، ولكن لم يَقدِر، كان بمكان مُظلم لا يرى شيئًا، فقَط عَينين تُشعّان نورًا: "فكّ قيدي أيّها الحَقير".

سمعَ صوتَ ضِحكة عالية وبالتّدريج تبدَأ بالخُفوت إلى أن توقّفَت، التفتَ برأسِه حول المكان إلّا خلفَه لم يتمكّن من الالتِفات، لم يجِد شيئًا حتّى العينين لم يرَهُما، وفجأة دون سابقِ إنذارٍ شعرَ بأنفاسٍ عند وَجهِه وكأنها أنفاسُ ثورٍ هائجٍ، رأى من بعيد نُقطَة بيضاء بدأ ينظُر إليها وأصبحَت تكبر وتكبر وتكبر إلى أن أغلقَ عَينَيه لأنّه لم يعُد يتحمّل ذلك النّور القويّ...

فتحَ عينَيه ورأى نفسه منزله، تنفّسَ الصّعداءَ بارتياح وشعرَ بتلك البيرة التي بيده، ابتسمَ فهي المُفضّلةُ لديه ورشفَ منها ثمَّ وضعَها على الطّاولة، نهضَ إلى النافذة ورأى طِفلاً صغيرً بالخارج يلعَب في الشّارع، شَعرَ بجسدٍ من خَلفه يَحتضِنه وأنفاسهُ حارّةٌ لم يستطِع أن يلتفَت فتحدّث: "انظُر إلى ابننا فهو جَميل وبه حَيويّة".

شعرَ بارتياح عندما علم أنّ [سارة] خلفَه

ولكن قال [سام] باستِغراب: "أهذا ابننا؟!".

[سارة]: "نعم انظُر إليه ألا يُشبِهك؟".

نظرَ الطّفل إلى النّافذة وكان يُشبِه [سام] لحدٍّ كبيرٍ، رفعَ يَده ولوّح له فقال [سام] وهو يبتسِم: "نعم إنّه يُشبهُني كثيرًا ولكن لمَ تَتركيه يخرج وحدَه للخارج وفي وسَط الشارع ألا تَخافين أن يَصدِمه شَخص؟؟!".

ضحكَت [سارة] بقوّةٍ ثمّ سكتَت في الثانية نفسَها: "لا تقلَق؛ الأطفال لا يَموتون".

[سام] بخوف: "ولكن يجِب أن تخافي عليه ألا تَخافين أن يَصدِمَه شخصٌ بحالة سُكر؟".
ضحكَت [سارة] ضحكةَ شماتةٍ ومدّت يدَها ورأى [سام] أظافر يَدِها الطّويلَة المُقرِفة فقالت: "هكذا؟؟".

أتتْ سيارة مُسرِعة واصطَدمَت به ليَطير وتُنتزَع بعض أعضاء جسَده، نظرَ إلى رأس طفلِه الذي كان ينظُر إليه ويبتسِم بخُبثٍ!

سقطَ [سام] على الأرض لم يَتحمّل ذلك المنظَر وبدأ يبكي بحرقةٍ.
فنظَر إلى [سارة] ورآها، لم تكن [سارة] قطّ، تلك المَلامح التي تحمِل الكثير من الشرّ والخُبث والابتِسامة القويّة الشديدة والرّائحَة الكَريهَة التي تَحمِل رائحة الموت!

فقالت [سارة] بشماتةٍ: "يُشفِق المرءُ على نفسِه عندما يُدرك أنّ كلّ أذاه مَنبعُه من سُوء اختياراتِه وأنّه عندما سعى لكَسبُ سَعادةٍ إضافيّةٍ فقد كان يَنجرِف لا إراديًا لحُزنٍ عَظيمٍ".

نهضَ [سام] من مَكانه وقال لها: "ولكنّكِ امرأةٌ صالحةٌ للعَيش، صالحة للحبّ، زاهيةٌ في كلّ الأوصاف، مُثيرةٌ مثل قُبلَة ساخِنة، تَجهَلين كلّ هذا الجَمال المَكنون بكِ، تَجهلين دائمًا أنكِ أرقُّ النّساء وأعذَبهنّ في هذا الكوكب، هذه لَستِ أنتِ، مُستَحيل أن تكون [سارة] هكذا يوجَد خطبٌ ما هنا، سأخرُج!".

ابتعدَ عن [سارة] وهي تنظُر له بحَركته السّريعة وضحكَت عندما تعثّر بالطّاولة وسقطَت البيرة ثمّ نهضَ مُبتلاًّ منها وعندما اقتربَ من عند الباب ليَخرُج قالت [سارة] بصوت عالٍ: "لا يُمكنك الهُروب من خَطيئتِك يا [سام] لا يُمكِنك".

فتحَت الباب ولكن لم يرَ ما كان يجِب أن يَراه، لم يرى الشّارع، لكن استقبلَه ضوء أبيض سحَبَه بقوّةٍ ليُغمِض عينيه ثمّ يَفتَحهما ويرى نفسه مُستندًا إلى الجِدار وظهره يُؤلمُه، وكانت [سارة] تنام على الأريكة مثل الملاكِ وعليها الغِطاء! الذي لم يَستَطع وَضعَه عليها...

كانَ حلمًا أم رُؤيا؟ لم يستطِع [سام] إدراكَ ما شعرَ به، إلّا أنّه أدركَ أنَّ خطيئَته ما زالَت تُلاحقهُ والاعترافُ في الكنيسةِ لم يُجدي نفعًا ولن يُنجيهِ من العِقابِ.

5

كانت ملامحُه عاديّة، لا يبدو عليه شَكل المأساة أو الخَوف، من شدّة كِتمانِه، أصبحَ داخلُه مُحترقًا لا يُريد التّحدّث بعد مُقابلة [الشّريف] أو الجلوس مع زوجته التي هي بالأساس حابِسة نفسَها بالغُرفة ومهمَا قال وفعل لم تتَجرّأ أن تَخرُج، ترجّاها لتَخرُج؛ يُريدُها أن تأخذَ أدويتَها ولكن كان كلّ ما يَسمعه هو صوت بُكائها فقط ذلك...

- "هل هذا عِقابك في الدّنيا يا [ديفيد]؟".

سمعَ صوت هَمسٍ من خَلفِه فالتفَتَ ولكن لم يجِد أحدًا، عاد ينظُر في الطّاولة ويُفكّر كثيرًا فخرجَ الصّوت مرّةً أُخرى: "الحَقيقَة لن تَختفي".

بدأَ يَلتفُّ حولَ نفسهِ يتفحّصُ المَكان مِن حولهِ بارتِياب وتعرّقَ من شدّةِ التوتُّرِ وصرخ [ديفيد] بقوّةٍ: "مَن أنت! ليس هذا وقت المُزاح!!".

تَحدّث [الصّوت الهامس]: "نعم ليس وقت المُزاح، بل وقت العِقابِ".

رمشَ [ديفيد] ليجدَ نفسَه تحت جِسرٍ فرفعَ رأسَه بسبب الصّوت العالي الذي سَمعَه وكان القِطار فوقه، شعرَ بيده أنّه ممسكٌ بشيءٍ ثقيلٍ، شيءٍ افتقدَه منذ زمنٍ طويلٍ، نظرَ إليه وكان مثل ما اعتقدهُ، مُسدّسهُ، نظرَ إلى الأرض، لم يتحمّل المنظَر، سَقطَ المسدّس من يَده، بدأَت شَفتاه تَرتجِفان لقد رأى جثّةً لشابٍّ ملامحُه غير واضحةٍ لأنّه بالأساس لا توجد ملامحُ، كان وَجهُه مَمسوحًا، سقطَ على الأرض برُعبٍ والجثّةُ تنهضُ مِن مكانها وتقترِب منه بشكلٍ مُرعبٍ وحين وصلَت إليهِ توقّفت عن السّيرِ وخرجَ صوت مُتحشرِج من وَجهها: "إن كنتَ لا تُريد شيئًا فلا تتجرّأ على قتلِه".

قال [ديفيد] بتأتأةٍ: "م م ماذا تقصِد؟ أ أ أنا ل ل لم أفعل شيئًا".

بدأ [الشاب] يُقلّده: "أ أ أنت ت ت تقصِد ذ ذ ذلك وأنت قتلتَني!!".

[ديفيد] بخوف: "أرجوك اغفِر لي، أرجوك!".

ضحكَ [الشّاب]: "اطلُب المَغفرَة من الربّ وليس منّي! هنا سيأتي عقابك ولن تَجِدَ مَفرًّا من ذلك".
نظرَ [ديفيد] لمُسدّسه وبدأ يَزحَف إليه فمسَكه بيده المُرتجِفة ووَضعَ المسدّس على رأسِه وقال [ديفيد]: "كان أنا من يجِب أن أموت".

وأطلقَ على رأسِه ليفتحَ عينه فيجِد زوجتَه أمامه مُرتعِبة منه بحقّ فقالت [سأفانا] له: "ماذا حدثَ للتوّ يا [ديفيد]؟!".

[ديفيد]: "لا أعلم، منذ أن أَتينا لهذه الجَزيرَة وأنا أشعُر أنّني لستُ بخيرٍ وكأنّه يوجد شيءٌ يُلاحِقني لا يُريدُ أن أشعُر بالأمان".

[سأفانا]: "وأنا كذلك أشعُر مثلك لقد أتَتني رؤيا، هربرت كان موجودًا فيها ويتَحدّث معي بعنفٍ".

بكى [ديفيد] عندما سمعَ اسم ابنه وقال: "هربرت ابني! ليتَك معنا".

قالت [زوجته سأفانا] جُملَة جعلتْه يتَجمّد: "لأجل أن تَقتلَه مرّةً أُخرى!!". ❞

ظهرت الصّدمة بوجهِه وقال[ديفيد] لها محاولًا صرف الموضوع: "أُريد دَوائي؛ أنا مُتعَب".

فنَهضَت بسُرعَة وذهبَت لتَجلبَه، بدأ يَستجمِع شَتات نفسِه، عادَت زوجتُه وبيدها كوب ماءٍ أعطتْه بيده الحُبوب والماء وهي تقول له بخوف: "بسُرعة ابتلِعها".

بلعَها وأخذَ رَشفةً من الماء ثمّ قال لها: "ما زلتِ تَخافين عليّ؟".

[سأفانا]: "بالتّأكيد أيّها الأحمَق هل تَظنّ أنّني سأصدّق ما أراه؟! أنت كالملاك السّاقط المُنزل من السّماء من المُستَحيل أن تقتلَ أحدًا، ولو نَملَة، فكيف ابنًا ربّيته بنَفسك؟!".

[ديفيد]: "ما يحدُث هنا مُرعبٌ! مُرعبٌ! بحقّ، توجَد كينونةٌ لا نعلم ما نيّتها حَولنا!!"

15

اجتمعَ جميع السيّاح في صالة الاستِقبال، كان [الشّريف] يَجلِس على كرسيّ وينظُر إليهم والخَوف بادٍ عليهم قال [ديفيد]: "ماذا نُواجه يا شَريف؟".

[الشريف]: "لا نعلم ماذا، ولكن أعرِف أنّ الجَميع مرّوا بشيءٍ مُرعبٍ اليوم عند العَصر، ولكن نحن نبحَث عن كلِّ شيءٍ يدلّنا على ذلكَ المُجرم ولم نَجِده إلى الآن، نحن نَحتاجُ أن نُمسكَه أكثر منكم جميعًا".

قال [سام] بسَخَطٍ: "وكأنّه يَستَهدفكم وسَيقتلكم!!! نحن من يَستهدِفنا!".

نهضَ [الشّريف] بغضبٍ وقال: "إن كنتَ خائفًا على حياتك فيجِب أن تَخاف على الباقين، هل تعلم ما يَجري الآن؟".

[سام]: "بالتّأكيد لا أعرف وأنتم تَسجُنوننا هُنا!".

[الشريف]: "ربع الجزيرة أصابَها شيءٌ ما جعل كلّ الأشجار والزّرع يَذبُل، هل تَعتقِد أنّه يُمكننا العيش إن أصاب ذاكَ الشّيء كلّ الجزيرة بذلك الشيء؟!".

تراجعَ [سام] بصمتٍ وتَقدّمهُ رجلٌ عجوزٌ: "نحن أتينا للسّياحة، ما ذنبنا بما يحدُث لكم هنا؟ لماذا تَحرمونَنا من الخُروج؟! نحن أتينا بِحُرِّ مالِنا واختَرنا أن نأتي هنا لنرى جمال الجزيرة وليس لنُحبَس في هذا الفندق اللّعين".

تقدّمَ [رجلٌ آخرٌ]، كانَ الشيب يعلو رأسهُ وقال: "نعم مِن المُمكن أنَّ ما حدثَ لنا كلّه بسبَب هذا الفندق وربّما هناكَ لعنةٌ ما بِه؟!".

تدَخّل [مُدير] الفندق والتّوتّر بادٍ عليه: "لا لا، أضمنُ لكم أنّ الفندق لا دَخلَ له، فهو مُحصّنٌ بكلمات الرّب ولن يَحدُث له شيءٌ أو تَسكُنه الأشباح!".

تدخّل [شابٌّ] غاضبٌ: "أضمنُ لكم أنّه كاذبٌ ويُريدُ قول أيّ شيء ليَحمي فندقه!".

بدأَ الجَميع يَصرُخون، بعضهم يُريدُ الخُروج من الفندق وعَدم حَبسِهم وبعضهم الآخر يريدُ العودة لوَطنه، لم يتوقّف صُراخُهم حتّى لدقائقَ عدّة، حتّى بدا الانزعاجُ على مَلامح [الشّريف] من تلكَ الكلمات التي يَضجُّ بها الحاضرون دونَ توقُّفٍ، ورأى كيف أصبحَ هذا الشّيء يَجعلهم أكثر غَضبًا فأرادَ تهدئَتهم فقال [الشريف]: "توقّفوا، استَمِعوا إليّ!".

صرخَ ولم يَستمِع أحدٌ إليه، كرّرَ الجُملة ولم يَستمِع أحد له، أخرجَ سلاحهُ من غِمده وفتحَ زِرّ الأمان ورَفعَه للأعلى وأطلقَ طلقةً ليَتوقّف الجميع عن الحَديث ينظرون إليه بخوفٍ شديدٍ، أنزلَ سِلاحَه ونظرَ إليهم: "جيّد!"،

تنفّس [الشريف] بثقل وقال: "يجب على الجَميع أن يَهدؤوا ولا يَغضبوا، سنَسمَح لكم بالخُروج من الفندق والتّجوّل براحةٍ، ولكن سنَمنعُكم من بعض الأشياء".

كان الصّمتُ سيّدَ المكان فلم يتَجرّأ أحدٌ على الكلامِ أو الرّدِ على هذا القَرار، الجميع صامتين ولم يتَحدّثوا فأكمل: "أولًا: مَمنوع عليكم الخُروج من الجزيرة ومن سيُحاول الخُروج سيُقبَض عليه وسيُتّهمُ بالاشتِراك بجريمةِ قتلٍ والهُروب من العَدالة، وثانيًا: ممنوعٌ دخول المَناطق التي يُحاوِطها رِجال الأمن".

1

خرجَ الجميعُ من الفندق وذهبَ [سام] و[كريس] و[ديفيد] معًا مع إلى البار وجلَسوا هناك وبَدؤوا يتَحدّثون عما حدَث لهم فقال [ديفيد]: "لقد حلمتُ أنني قتلتُ شخصًا ولكن لم أعرِف مَن هو".

تَحدّث [سام]: "أمر الجزيرة غريب جدًا! لقد رأيتُ [سارة] تَطفو وهي نائمةٌ هل تتَخيّل هذا؟ وعندما اقتربتُ منها ولَمستُ جسدها أتتْني ضربةٌ ودفعتْني للخلف وضربتُ بالجِدار ليُغمى عليّ! ومِن ثمَّ بدأ ذلك الحلم المَلعون!".

كان [كريس] مُمسكًا بكوبِ بيرةٍ، صامتًا لا يعلم ماذا يقول، هل يُخبرهم بذلك الحلم أو الرّؤيا! تَنهّد ليتحدّث: "لقد حلمتُ بشيءٍ...".

لم يتمكّن من إكمال حَديثِه بسبب تدخُّلِ [رجلٍ سكرانٍ] جلسَ بجانبهم وقال بعدم إدراكٍ: "أهلًا بكم أيّها المَلاعين أعتقدُ أنّ حُضوركم هنا جلبَ لنا اللّعنة!".

شربَ من الفودكا التي بيَده ثم أكمل [رجل سكران]: "وأعتقد أيضًا أنّ تلك العرّافةُ اللّعينةُ جلبَت ما كانت تقوله لنا منذ الصّغر عن تلك القصّة عن النيزك الذي سقطَ وقتَل الكثيرًا من الأبرياء".

سقطَ رأسُ الرّجل على الطّاولة وبدأ شَخيرُه يَعلو، أتى النّادل من بَعيد وأمسكَ بالرّجل ليُنهضَه ولكن أوقفَه [ديفيد] وقال له: "بُنيّ هل يُمكنك إخبارُنا عن تلك المَرأة التي تحدّث عنها؟".

بدأ يُفتّشُ في أرجاء المكان إن كان أحدٌ يَسمعهُ أو لا وعندما لم يجِد أحدًا قال: "لا أنصَحكم برُؤية العَجوز [ماري] فهي مُرعبةٌ جدًّا ولديها علمٌ ليس لدى أحدٍ ومُحرّمٌ علينا أن نلتَقي بها والبعض يَذهَب إليها خِلسةً لكي يأخذَ دواءً لمَرضِه الذي لم يجِد الأطبّاء حلولًا له".

كادَ أن يَرحَل، ولكن أمسكَ [سام] يده وقال له: "أين مكانها؟؟".

2

بخُطواتٍ مُتثاقلةٍ يَملؤها الخوفُ قرّروا البحثَ عن تلكَ العرّافة [ماري] فربّما يَستَطيعونَ حلَّ ذاكَ اللّغزِ الذي حوّلَ رِحلتَهم إلى كابوسٍ، هذا اللّغزُ الذي سَيطرَ على تَفكيرِهم فباتَ كلُّ شخصٍ منهم يُهلوسُ بأفكارٍ ورؤىً تقتحمُ صفوَ رحلتهِ، باتَ كلُّ شخصٍ منهم يفكّرُ فيما اقترفَ مِن خَطايا، أَصبحَ جلّ اهتمامهم مُنصبٌّ على إيجادِ طريقةٍ للخلاصِ والخروجِ من تلكَ الجزيرةِ المَشؤومَةِ. حاولَ هؤلاء الرّجال البحثَ عن حلٍّ فربّما لتلكَ العرّافة العَجوز رأيٌ فيما يحدث.

وبعد سيرٍ لمدّةِ رُبع ساعة في الظّلام تَحدّث [ديفيد] وهو يتَعرّق: "هذا مَنزلُها".

قال [كريس] برُعب: "إنّه مُرعبٌ بحَقّ!".

قال [سام] وهو يتَقدّم إلى المنزل: "نعم أتّفق معك أنّه مُرعبٌ".

صعَدَ [سام] الدّرَج ثمّ بدأ يَطرُق الباب لعدّة ثوانٍ ولم يجِد استجابةً، ابتَعدَ عن الباب وذهبَ إلى النافذة القريبَة من الباب وبدأ يَسترِقُ النّظرَ من زجاجِ النّافذةِ لعلّهُ يجدُ ما جاءَ لأجلهِ، أطلّ وكان المنزلُ مُظلمًا جدًا ولم يَستطِع مُشاهدةَ شيءٍ فالتفتَ إلى [ديفيد] ليُخبرَه: "لا يُوجد نورٌ هنا، لا أعتقد أنّها مَوجودةٌ في بالمنزلِ!".

[سام]: "حسن لنَرحل، ونعود في وقتٍ لاحقٍ، قد تَكون مَشغولةً لديها أعمالٌ تُنجزُها".

نزلَ [سام] على الدّرَج ومن سُوء حظّه تَعرقلَت رِجله على إحداها وسقطَ على الأرض ولكن أمكنه تَثبيت نفسه بيدهِ، تضرّرت رِجلُه، بَدأَت تَنزِف قليلاً فتقدّم إليه [كريس] بسرعةٍ وحَملَه وجعَلَه يتّكئُ عليه ليَمشي به خارجَ تلك المنطقةِ للعودة إلى الفندقِ.

أصبحَت حَركتُهم أكثر بُطئًا بسبب [سام] والظّلام كان أشدّ من قبل والمَكان أصبحَ مُرعبًا ولم يَجِدوا بعض المعالم التي رأوها عند قُدومهم فقال [ديفيد] بخوفٍ: "يجِب أن نأخذَ حَذرَنا".

تسلّلَ الخوفُ إلى قلوبهم وزادَ تأهّبهم لأيّ صوتٍ من حولهم، ولم يُمكنُه تَبليل حَلقِه حتّى سَمِعَ [ديفيد] صوتَ انكسارِ أغصانٍ بجانبه، التفتَ ليرى ما الذي سبَّبَ الصّوت، ولكن لم يجِد شيئًا، فالتفتَ لينظر إلى [كريس] و[سام] ولكن لم يَجِدهما فصرخَ: "أين أنتما؟!!".

لم يجِد إجابةً، اختَلجَ قلبُه بعد أن وجدَ عينين بيضاويّتين أمامَه وسمعَ أنفاسًا حارّةً التفّ بسرعةٍ وبدأ يركُض ولم يَلتفِت إلى الخلف، ارتفعَ بداخله الأدرنالين وركضَ بشكلٍ لم يكُن مُناسبًا لعمرهِ وسمعَ من خلفِه صوتَ انكسارِ أغصانٍ، تعالَت أنفاسُه بشدّةٍ بشَكلٍ كبير وكان كلّ ما يُريده بعض النّفس ولكن هذا مُستَحيل مع الذي يَلحَقه بشكلٍ جنونيٍّ.

وفجأةً توقّف سماعهُ لصوت انكسارِ الأغصانِ وشعرَ أنّه لا يوجد أحدٌ خَلفَه، التفتَ ليتحقّق دون أن يَنتبِه لخطواتِه فسقطَ في حُفرةٍ صغيرةٍ بَسيطَة قد تكلّفه حياته! دقّات قلبِه ازدادَت، نظرَ لساعتِه بتألُّمٍ وصُدِمَ مِن تقدّم الوقت السّريع الذي حدثَ وبعد دَقائق سيَحتاج إلى دَوائهِ!!!

3

عندما كان [كريس] مُمسكًا ب[سام] وكلُّ حمله عليه اختفى [كريس] وكأنه تبخّرَ فسقط [سام] على الأرض وتألّم أكثر فبدأ يسمع صوت ضحكاتٍ خفيفةٍ ملأت أرجاء المكان مِن حوله وبدأت تزداد وكأنّها تقترب منه بشكلٍ مُخيفٍ فقال [سام]: "من أنتتت؟!!".

توقّفَ صوتُ الضّحكات وأتى صوتٌ خَشنٌ يَحمل بداخله الكثيرًا مِنَ الحقدِ: "أنا! عدوّ الحياةِ! لَستُ تلك النّجوم المَلعونَة ورأيتُ ضوءَ آلاف الشّموس!، أنا العَذاب... أنا نسخةٌ غير مُقدّسةٍ من الحياة وسُخريةٌ من حياتها... أنا خطيئةُ الأرض ولَعنةُ السّماءِ... أنا لَستُ ملكًا... أنا لَستُ إلهًا!!! أنا أسوأ من كلّ هذا!!".

حلّ هُدوءٌ جعلَ [سام] غير مُطمئنٍّ، شعرَ أنّ مُصيبةً كبيرةً وضخمةً قادمةٌ إليهم، مُصيبةٌ ستُدمّرُ كلّ ما اعتَقدوه منذ الصّغر! سمعَ صوتَ خطواتٍ مِن خلفهِ وسقطَ شيءٌ على رأسِه عندما التفتَ وجدَ [امرأةً كبيرة] في السنّ وَجهُها مليءٌ بالشّحوبِ وكأنّها نُدوبٌ من عَذاب الحياة، وعندما نظرَ في الأرض وَجد عصًا فقالت له: "بسُرعةٍ انهَض واتّكئ عليها لتَمشي، هيا انهَض من هنا!".

أمسكَ بالعَصا بارتِباكٍ، نهضَ واستَقام وقال [سام] لها: "من أنتِ؟!".

[المرأة]: "أنا [ماري]، هل تُريد التعرّف؟ هل تُريدُ أن نشربَ نخبًا من الشاي وأقصّ لك القصَص؟ هل لديك الوقت لكلّ هذا؟ نعم؟؟ أنا ليسَ لديّ الوَقت لكلّ هذا هيا لنذهَب للبَحث عن صَديقَيك فهُما في خطَر الآن!".

نعم، إنّها العرّافةُ [ماري]، وأخيرًا استطاعَ أحدُهم إيجادها.

لم يتَحدّث [سام] فقد فُجِع من أُسلوبها القاسي والغَريب، مَشَت وتَركتْه، بدأ يَمشي خلفَها وبعد عدّة دقائقَ توقّفَت أمام حُفرةٍ ونظرَت أسفلَها التفتت إليه [ماري] وقالت: "صديقك لم يعُد مَوجودًا!".

[سام]: "من تَقصِدين؟ [كريس]؟".

[ماري]: "لا، أقصد الرّجل العَجوز".

[سام]: "يا امرأة ذلك كبر والدي كيف يُصبِح صديقي؟!".

[ماري]: "وهل تعتقِد أنّ هذا هو وقت تِلك السّخافات عن الكِبَر والعُمر، وكيف تَضع حواجزَ غبيّة؟ فهو يَحتاجُك كثيرًا وأنت لا تعرِف الكثير عنّي لهذا التزِم الصّمت... لقد كنت عنده هنا وأتيتُ بك لكي تُساعده في الخُروج ولكن الآن اختفى".

[سام]: "لماذا لم تُساعِديه؟ نعم نعم لا يحتاج أن تُخبريني أنا لا أعرف عنك الكثير كلّ ما أجِده أمامي عجوز".

ابتسمَت [ماري] بخبثٍ وقالت: "حسنًا أتمنّى لك حظًّا سَعيدًا في إيجاد صَديقَيك".

رحلَت مُبتعدةً عنهُ لتَتركهُ يُصارعُ خوفَه لوحدهِ في هذه الجزيرةِ المُظلمةِ إلى أن استدركَ ما ستؤولُ إليه حالتهُ وحيدًا وما يُمكِنه أن يحلَّ به من مَخاطر، ناداها بصوتٍ مَمزوجٍ بالرّعبِ والهلَع بعد أن أدارَت ظهرَها وهمّت بالرّحيل ولكن تَوقفَت عندما قال [سام]: "انتَظري، توقّفي". فتوقّفت وانتظرَت قُدومَه بذكاءٍ لتَزرعَ في نفسِه روحَ المَحبّةِ و التّعاونِ للوُصولِ إلى حلٍّ يُخلّصهم جميعًا من تلكَ التّعويذةِ الأسطوريّة المُخيفة.

ذهب [سام] إليها وعندما صارَ أمام وَجهِها قال: "أنا آسفٌ؛ أمرٌّ بوَقتٍ سيّئ".

[ماري]: "أعلم ذلك ولكن أُريدك أن تتمسّك بنِيّة إنقاذ صَديقيك".

لم يتَحدّث [سام]، صمتَ و[ماري] ذهبَت لاتجاهٍ آخر وبدأ يَلحَقها وفجأةً دون سابق إنذارٍ سَمعَا صوتَ صرخةٍ عاليةٍ رجّت قَلبَيهما لها، تركَ [سام] العَصا وبدأ يركُض ورِجلُه تُؤلِمه وعندما وصلَ كانت [ماري] خلفَه وَضعَت يدَها على فمِها و[سام] سقطَ على الأرض مَصدومًا بما شاهدهُ بسبَب شيء أرعبَه كثيرًا: رجلٌ مَصلوبٌ وعارٍ، كان مَحروقًا بنارٍ لا أحدَ يَعلَم مِن أين أتت!!.

4

عندما اختفَى [سام] من جانب [كريس] بدأَ يبحَث عنه كثيرًا ولم يجِده، راوَدَهُ شعورٌ غَريب يُرشِده للذّهاب إلى مكان ما، مشى خلفَ إحساسِه ولم يتوقّف إلا عند ساحةٍ لم يكُن يوجَد فيها أيّ شيءٍ لا شجرةً ولا حَشيشًا صغيرًا أسفلَ رجليهِ، نظرَ للأعلى ووَجدَ القمر مُظلمًا بشكلٍ لم يتَوقّع قَطّ، بدأ يَلتفّ حولَ المكان ولم يجِد أيّ شيءٍ فتذكّر [سام] و[ديفيد] وأخذ يصرُخ مناديًا لهما ولكن لم يجِد أي إجابة إلّا صوتَ شيء يَزحَف تَحتَه وعندما نظرَ وجدَ ذلك الشّيء الأسوَد يزحَف قادمًا إليه، تجمّدَت قدَماه ولم يَقدِر على الحَركة وعندما وصلَ عند رجله بدأ يتَشكّل على هيئة رَجل أسَود عُيناه مُضيئتان فظهرَت ابتسامةٌ بوَجهِه وتحدّث بصوتٍ خشنٍ وكأنّ الظلام أصبحَ له لِسان ليَتحدّث عن حُلكَتِه: "أحلامنا نتمنّى بعضها أن تتحقّق وبعضها نتمنّى أن لا تتحقّق، أشمّ رائحةَ لَعنةٍ بك، لعنةٌ تأبى الرّحيل إلا عندما تأخذ رُوحَك من جسَدك".

لم يقدِر [كريس] على الحّديث، قلبُه ينبِض بقوّةٍ عالية، رفعَ الوَحشُ يده وأمسكَ عُنقه ورفعَه إلى الأعلى وجعل عينَيْ [كريس] تنظُران إلى عينيه ليأخذ شَهقتَه الأخيرة ويَدخُل ذلك المَخلوق في أقصى أعماقِه وبدأَ يبحَث عن خَطيئَة [كريس]

5

نَهضَ [سام] بعد أن استوعَبّ أنّ الرّجلَ الذي صُلِب وجَسده مَحروق صَديقه [كريس]، لم يتَوقّع قطّ أن يَرى رجلًا مَصلوبًا...

لمسَت [ماري] ظهرَه وقالَت ودُموعُها تَتساقَط على الأرض: "النّبوءَة بدأَت تتَحقّق، يجِب أن نذهب للقرية ونُخبرهم فاللّيلة لن يَحظى أحدٌ منكم بالنّوم، الجميع سيَشتاقُ للنّوم ولن يظفرَ به أحدٌ، سيَختَفي منهم النّوم بعد اليوم!!".

قال [سام] ورجليه بالكاد تتحمل الوقوف:"ماذا يعني هذا، أنا لا أفهم، هل سنَموت؟!".

[ماري]: "لن نتمكّنَ من الهرَب منه سيَلحقُنا ولا يوجد حلّ للتّخلّص منه إلا أن يتخلّص منا وقد يَصِل إلى العالم".

[سام]: "هل هذه نِهاية العالم؟!!".

[ماري]: "ليسَت نِهاية العالمِ بل نهايةُ الخَطايا، يريدُ أن يَخلُق عالمًا لا توجَد فيه أيّ خطيئةٍ".

[سام]: "وكيف هذا؟".

[ماري]: "إنّه يَقتُل ويُعذّب على حسب تلك الخَطايا التي فَعلناها".

- "يُعذّب على حسب الخَطايا".

جملةُ استوقفَت [سام] وجَعلتهُ يَخافُ أكثر، لا يُوجد شخصٌ لا يعرف خَطيئَته ولكنّنا نسعى جاهدينَ لإخفاءِ خَطايانا وكِتمانِ مشاعرنا حتّى أحلامنا نُحاولُ كِتمانها مُحاولينَ بذلكَ كبحَ لِجامِ يوميّاتنا وضبطها.

لم يكن [سام] مُرتاحًا لهذا الخبَر الذي قالتْه العرّافةُ [ماري]، حاولَ إقناع نفسِه بأنَّ ما تقولهُ مَحض خيالٍ وما يتَحقّق الآن مُصادفةٌ لا أكثر مُحاولًا زرعَ الطّمأنينةَ في قلبِه.

[سام]: "وكيف تَعرِفين كلّ هذا، هل أنتِ معه، هل أنتِ من حَرّره؟!!!".

[ماري]: "هل أنتَ غبيّ لهذا الحَد؟ كيف أُحرّر شرًّا سقطَ من السّماء؟! ألم تسمَع ما قاله لك!؟".

ارتكبَت [ماري] خَطأً وقال [سام] لها: "كيف علمتِ بمَا قاله لي؟!!".

[ماري]: "لم يكُن مَخفيًّا عليَّ، لقد تعمّدَ جعلي أسمَعك عندما كنتُ بالقُرب منك".

[سام]:"وكيف علمتِ أن نيّته هكذا؟"

[ماري]: "ألن تَتوقّف عن الأسئِلة؟ افهَم يا [سام]، زوجتُك في خطر، في خطر!!!!".

تَردّدت كلمة [ماري] الأخيرة في عقلِه ليَستيقظَ من غَفلتِه ويشدّ [ماري] من يدها: "هيا لنعود!".

سَحبَت [ماري] يدَها وقالت: "أنا أعرِف طريقًا مُختَصرًا، كن خلفي".

مشَت بسرعةٍ ورغم الألم الذي يَشعُر به إلا أنّه أكمل مشيتَه وبالسّرعة نفسَها وبعد دقائق قليلة بسيطة وصلَ إلى الفندق وكان الأغلب هناك ينظُرون برُعبٍ لشيءٍ! رأى [سام] زوجتَه واقفةً واضعةً يديها على فمِها، ركضَ إليها واحتضَنها: "[سارة] هل أنتِ بخير!؟".

ابتعدَت [سارة] عن حُضنِه وقالت برُعب: "أين كنت؟ لقَد حدثَت جريمتا قتل وكنت خائفةً أن يَحدُث لك شيء!!"

ثمّ عادَت [سارة] تَحضُنه وبدأَت بالبُكاء وهي تَضرِب ظهرَه وتقول: "لا تفعلْها مرّةً أُخرى، لا تُحاول أن تتركُني وَحدي أُواجه المَوت، أرجوك لا تفعلها مرةً أُخرى!".

ضمّها بقوّة وهو خائف أكثرَ منها لأنّه رأى ذلك المنظَر الذي جعلَ شعر جسدِه يقِف من الدّهشَة!!

6

طائرة تهبط على الجزيرة ويفتح بابَها رَجلٌ وينزل منها ثمّ يتقدّمُ رَجلان يَلبِسان ملابس سوداء خلفهما امرأة تلبِس نظّارات رغم سَواد الليل، استقبلَهم [الشّريف] وهو يقف بصرامةٍ غير مَعهودةٍ عليه، فتحَ الرّجلان الطّريق للمرأة لتتَقدّم أمام [الشّريف] ليؤدي لها التحيّة العَسكرية بسرعةٍ ويقول:

"أهلاً بالسيّدة أفا".

[أفا]: "هل تمّ الإمساك بالمُجرِم؟".

يُنزل [الشريف] رأسَه بخِذلان ويقول: "لا يا سيّدتي لم يتمّ الإمساك به بعد!".

[أفا]: "ارفَع رأسَك أيّها الشّرطيّ".

رفعَ [الشريف] رأسَه وفهم معنى تلك الكلمة فقال: "حاضر أيّتها [الشّريفة]، كلّ شيء هنا تحت أمرِك".

[أفا]: "هذا ما اعتقدتُّه، هيا لنذهبَ إلى ذلك الفندق لنُلقي نظرة على ذلك الرّجل المُعلّق".

عدَّل [الشريف] من كلامها وقال: "إنّه مَصلوب يا سيّدتي، مَصلوب!!".

مشَت دون أن تُلقي همًّا لكلامِه ليَمشي هو خلفهم بتذلُّلٍ ولكنهُ سمعَ [صوت همسٍ] نحوَه: "أخي، أخي".

بدأ يلتفّ حول المَكان، بحثَ عن الصّوت وعندما وقعَت عينه على المَرأة الواقفة بجانب شجرةٍ ذهب إليها وقال: "[ماري] ماذا تَفعلين بحقّ السّماء؟!".

[ماري]: "يجِب أن تفهمَ شيئًا".

قال [الشريف] بسرعة وهو ينظر خلفَه إلى الرّجلين والمُقدّمة: "ماذا تُريدين؟"

[ماري]: "ذلك الوَحش يَستهدِف السيّاح وتُعتبَر تلك المَرأة والرّجُلان من السيّاح فهم الآن بخَطر".

[الشريف]: "لا تقلقي فهُم سيتَصرّفون بطَريقتِهم، يجِب ألّا تَتدخّلي يا [ماري]، أرجوكِ، اتركي تلك الخُرأفات عن بالك، يجِب أن تفهَمي أنَّ ما يَحدث بفعلٍ بشريّ! ومُدبّر".

[ماري]: "لو كان فَعلَ بشريٍّ فكيف بكلّ سُهولة رأيت تلك الجثّة مَصلوبَة وقد كان الأغلَب في صالة الاستِقبال وجميعهم أقسَموا أنّه حدثَت فجوةٌ سوداءُ وخرجَ مخلوقٌ أسود يَحمل ذلك الرّجل! وهذا ليس بأوّل شخصٍ!!".

[الشريف]: "ماذا تَقصِدين بكلامك هل يُوجَد قتيلٌ آخر؟!؟؟".

قالت [ماري] بحُزن: "نعم، [كريس] هو القَتيل الآخر لقد استَدرجَه بطريقةٍ ما وحرقَه وهو حيّ وصلبهُ مثل ذلك الرّجل العَجوز".

[الشريف]: "هل يُعقل ذلك!؟ أين مَكانَه أخبريني بسُرعةٍ".

أخبرتْه [ماري] بمكان جثّة [كريس] ثمّ ذهب يركُض نحو الرّجلان و[ماري] عادَت إلى [سام] الذي يَجلِس خارج الفندق وزوجتُه بجانبه، وعندما رآها نهضَ وقال: "هل أخبرتِ [الشّريف] بأمر [كريس]؟".

نهضَت [سارة] وقالَت بخوف: "ما به كريس؟، هل هو بخير!؟".

التفتَ [سام] إليها ويداه تَرتجفانِ: "لقَد مات هو الآخر مَحروقًا ومصلوبًا!".

تَجمّدت [سارة] بمكانها ولم تقدِر على أخذ نفسٍ ولم تقوى على الحركة، لمسَ [سام] كتفَها وهزّها خوفًا عليها

فعادَت إلى واقِعها وبدأَت بالبُكاء: "هل سنموت نحن يا [سام]؟ أرجوك لا أريد أن أموت أرجوك!".

تَحدّثَت [ماري] قاطعةً لحَظتَهما الحَزينة: "هيا لنذهَب إلى منزلي لتَحظيا بوقتِ راحةٍ ويجِب أن تأكلا شيئًا ليمدّكما بالقوّةِ".

لم يكُن أمامَ [سام] و[سارة] إلّا المُوافقَة على عرضِ [ماري]، فبدَءا السّير خلفَها لتَقودَهما إلى منزلها الكائنِ في وسط الغابةِ المُظلمةِ.

7

وَصلوا إلى المنزل ودخَلوا، أضاءَت [ماري] الأنوار وأغلقَت النّوافذ وأقفلَت البابَ عدّة مرّاتٍ، ارتابَ [سام] مِن أفعالِها ولكن لم يَنطِق بشيءٍ، فلا خيارَ أمامهم سوى الصّمت.

جلَسوا على الأريكة، كانت مُريحة جدًا، ذهبَت [ماري] للمَطبَخ وجلبَت لهما مياهًا وقدّمتْها لهما، شَرباها برشفةٍ واحدةٍ ثمّ وَضعا الكأسين على الطاولة، جلسَت هي على كرسيّها الخاصّ وبدأَت تنظُر إلى [سام] والذي ينظُر إليها، انتابَه شعورٌ بالخوفِ من نظَراتها فتحرّك وعدَّل من جِلستِه بتَوتّر وقال: "أَخبريني منذ البداية، بداية كلّ شيء".

[ماري]: "سأُخبرك بأهمّ التّفاصيل ليس لدينا الكثير من الوَقت".

أَومَأ [سام] برأسِه بالمُوافقَة و[سارة] قدّمَت رأسَها عند صدر [سام] ووضعتْه بكلّ راحة: "قبل 60 سنة كانت هذه الجزيرة شِبه خالية لا يَسكنها إلا بعض العائلات الفقيرة في إسكُتلندا وكان الإنتاج الزّراعي بسيطًا ولا يُقارَنُ بوقتِنا الحالي، لكن كلّ هذا تغيّرَ بعد يومٍ مُرعبٍ لأهالي الجزيرة، رأَوْا في السّماء شيئًا يتلوّن يَسقُط ناحيتهم وكان يقترِب بشكلٍ مُرعبٍ إلى أن سقطَ وحدثَ ارتدادٌ عظيمٌ، البعض اعتقد أنَّ هذا عقابٌ مِنَ الرّب والبعض اعتقد أنّه أحد أعمالِ الشّيطانِ وبعض مَن لديهم العلم عَرَفوا أنّه شيءٌ خارجٌ كليًّا عن الطّبيعة وليسَت له صلةٌ بها فذهب بعضُ الرّجال هناكَ".

8

تَحدّث أكبرهم وهو ينظُر للشّيء الذي سقط: "ما هذا يا [فيرجن]!".

تحدّث [فيرجن]: "وكيف لي أن أعرف؟".

تقدّم [فيرجن] وبدأ ينزل في الحُفرة، البُخار كان قويًّا جدًّا وخانِقًا، تحمّل كلّ هذا وعندما بدأَت الرّؤيةُ تتوضّحُ له رأى حجرًا ضخمًا يتّصفُ بالسّوادِ العظيمِ فجَذبَه شَكلهُ وبدأ ذلك الحَجر بالتّحرُّكِ لتَخرج منهُ له أذرُعٌ صغيرة وتتحرّك وكأنّها تُخبر [فيرجن] بالتّقدّم أكثر وحين اقتربَ منها خرجت يدٌ ضخمةٌ ومسكته من عنقهِ ورفعتْه للأعلى، رآه مَن لم يتقدّموا يَصرُخ بالنّجدة وتلك اليد تهزّه يمينًا ويسارًا ثمّ رَمَته بعيدًا ليضرب إحدى الأشجار الطّويلة ويسقُط على الأرض ميّتًا وهنَا حدثَ شيءٌ أرعبَهم أكثر! بدأ الحجر يتَفكّك ويخرج شيء أسود يَزحَف نحوهم وكأنّه للتّوّ خرج من رحم والدته فهربَ من هرب ومات كلّ من لَمستْه تلك المادة السّوداء ليبدأ جسده بالتّشكّل ويُصبِح أكبر حجمًا، فذهب إلى مكان الجثّة التي رماها وامتصّها بداخله، لتبدأ المرحلة الثانية وهي الانتِقام!

كان كلّمَا اقترب من شجرةٍ أو وردةٍ بكلّ سهولةٍ تموتُ وكأنَّ بداخلها طاقةٌ تمّ سَحبها منها لتذهب إلى ذلك الوَحش اللّعين.

وصلَ للقرية وكان يوجد حشدٌ من الفقراء يَنتظرونه واقفينَ مُمسكين بأسلحةٍ لن تداعِب حشرةً صغيرةً، توقّفَ الوحش ونظرَ إليهم وكأنّه ينظر لأشخاصٍ يَحمِل الكراهية نحوهم جهَّز نفسه ثمّ بدأ يركضُ نحوهم، كلُّ شيءٍ يموتُ فورَ اقترابه، مَن كان يطيرُ لمنزلِ صديقه ويسقط ميّتًا، ومَن كان ينظر برعبٍ وتمّ قطعه لنصفين، ومَن كان يستعدّ لمُواجهتِه وتمّ إخراج قلبه، كلّ مَن حوّل نظرهُ تمّ قتلهُ....

قتلَ الجميع ولم يُبقِ على أحدٍ، لا طفلاً ولا رجلًا بالغًا، ولكن أتَت تلك الطّائرة الحربيّة ونزلَت منها امرأةٌ تحمل كلّ غضبِ الدّنيا بداخلها، رأَت ذلك المنظر، الجُثث ونصف الجزيرة ميّتة وشعرَت أنّ الجزيرةَ تحتاج لتعود مثلَ سابقِ عهدها إلى كثير من السّنين والتّعامل الرّقيقِ لها، نزلَ خلفها رجلٌ آخر يَحمل همومًا كثيرةً ومناظر مُخيفة قد رآها في الماضي ولكن اعتادَ عليها الآن: "لقد تمنّيت ألّا أرى مثل هذه المناظر!".

التفت [المَرأة] إليه وقالت: "لِمَ لم تَعتدْ؟ لم يكفِك ما مَررتَ به في السّابق؟".

[الرجل]: "صدّقيني لقد رأيتُ أسوأ من هذه بكثير ولكن الآن أنا اعتدت على حياتي الطبيعيّة بعد ما خذلتُ شقيقتي فأنا لا أستحقّ العيش ولكن أنتم من يُجبِرني".

[المرأة]: "نحن لم نُجبِرك على شيءٍ أنت من لم يتَحمّل تلك العيشة!".

نظر [الرجل] إليها بغضبٍ وقال: "من سيَتحمّلها؟؟".

[المرأة]: "لا أنا ولا أنت، مَن عاشوا بالماضي هم من سيتحمّلونها".

[الرجل]: "حسنًا هو ليسَ ماضيك بل هذا الماضي يَخصّني وحدي وكل مَن مات، أتمنّى أن تتوقّفي عن الحديث وأعيدي قتل هذا الوَحش اللّعين".

[المرأة]: "نعم لم أسألك قطّ كيف قتلته هل كان مُتوحشًا أكثر من هكذا؟".

[الرجل]: "لم يكن فقط مُتوحّشًا بل كان كلّ وحوشِ الدّنيا برجلٍ واحدٍ يحمل شُرورَ الدّنيا بداخلهِ فكيف لوحشٍ يعظم له تلك الشّرور !!".

سمع الرّجل صوت حركةٍ من خلفه وعندما التفت التقى بذلك اللّعين الذي يتمنّى أن يُمحيَه ولا يجعَل نُسخته المُستقبليّة تلتقي به....

9

ضحك [سام] بسُخرية وقال: "حسن توقّفي عن إخباري بقصّة أطفالٍ لِما قبل النّوم، أنا لستُ بطفلٍ!".

مدّت [ماري] يدَها وأمسكَت بالكوب ورشفَت منه ثمّ أعادتْه إلى الطّاولة بخفّةٍ وقالت: "أعلم أنّه يوجد تفاصيل قد لا تُصدّقها ولكن يجِب للتاريخ أن يُسجّل نفسه بطرقٍ عدّة، أنا علمتُ الكثير من الأشياء وأعرِف ماذا سيحدُث في المُستقبل والذي بالأصل يجبُ أن يحدُث ولكن مهمَا حاولوا لن يَستطيعوا إنقاذ ذلك المُستقبل المُشين".

[سام]: "الآن تَحولتِ لعرّافةٍ، هل تريدينَ كفّي وبعض المال لتَقرئِي مُستَقبلي؟!".

ضربَت [ماري] الطّاولة بغضبٍ ونهضَت ثمّ قالت: "توقّف بحقّ السّماء عن الاستِهزاء بي أنا أُخبرك بمَا تُريده لأجلك أنت لتُنقذ نفسَك! أنا لن أموت، يجِب أن تفهمَ أن موتي ليس الآن لديّ الكثير من الأشياء لفعلها!".

بكلماتها هذه أثارَت [سام] وأوقفتْه عند هذا الحدّ من السّخريةِ، وكأنَّ أحدًا صفَعهُ ليستيقظَ من كَبوَتِه وينتفِض لإيجاد الحلّ ويتقبّل وجودَ تلك العرّافة ويخضَع لأوامرها في الوصولِ إلى حلٍّ يُخرجهم من هذا المأزق.

نَهضَت [سارة] بتعبٍ وقالت: "توقّفَا عن فعل هذا؛ يجِب أن نجدَ حلاًّ لتلك المُشكلة". نظرَت إلى [ماري] والتي هدأَت بالفعل وجلسَت على الأريكة ثمّ أكملَت [سارة] مُوجّهةً نظرَها إلى [ماري]: "أرجوك أكمِلي إن أمكنك".

مدّت [ماري] يدها للكُوب مرّةً أُخرى وبلّلَت حلقَها ثم قالت: "لا يوجد تَكمِلة، هنا المُعضِلة، أنّ من أعادَ ربطَه بالحجرة قد مات وهو من كان يعرف الطريقة، وكتبَ ذلك في مُذكّراته الشّخصيّة لكن مِن المُستَحيل أن نحصلَ عليها، توجد مُخابراتُ عاليةُ السريّة تحمي المذكّرة لأنّها تحمِل الكثير من الأسرار".

تنفّسَت [ماري] الصُّعَداء ثمّ أكملَت: "أنا لا أعلم ما الذي كُتب ولكن تلك المنظّمة لن تتركنا وحدنا لقد أتَت تلك المرأة التي كانت مع الرّجل في السّابق وهي قد تعلم الطّريقة لهزيمتِه".

صُدم [سام] بعد أن سمعَ أن تلك المرأة موجودة الآن فقال بسرعة لـ[ماري]: "مَهلاً، هل تُخبرينَني أنّه توجد امرأة عمرها أكثر من 100سنة ؟".

ابتسمَت [ماري] بعد أن جعلَت [سام] يستوعِب: "من المُمكن في زمَننا هذا عمرها المُفترَض، ولكن في زمنها هي امرأة بعمر 60 أو 70 سنة".

[سام]: "هل هي مسافرةٌ عبر الزّمن!؟".

[ماري]:"نعم يُمكنك القول هكذا".

[سام]: "!!!!!".

قال [سام] بصَدمةٍ: "كيف تعرفين كلّ هذا؟ إنّه شيء غير مَعقول وسَخيف جدًّا لا يوجد شيء مثل هذا".

[ماري]: "حسنًا، لنَفترِض أنّك لا تصدّق كلّ هذا، كيف يمكنك أن تفسّرَ لأصدقائك عندما تعود سالمًا إلى موطنك وتُخبرهم كلّ ما حدَث لك، هل تَعتقِد أنّهم سيُصدّقون كل هذا؟ من المُستحيل؛ لأنّهم سيرونه سخيفًا ولا يوجد شيءٌ مثل هذا فقط لأنّهم لم يَروه بأعينهم لهذا الناس العاديون الذين ليسوا مثلنا لن يُصدّقوا ما يَجري".

[سام]: "إذًا لن أخبرهم بشيءٍ لن يُصدّقوه يكفي ما مَررتُ به ومن يؤمِن بي وبكلامي سيُصدّقني مِن أوّل حروفي!".

16

[أفا]: "نظرًا لما أراه سأضطرّ لرَفع بلاغ للحكومة السريّة وهي ستتّخذ الإجراءات اللّازمة لإيقاف هجَماته لأنّه مما يبدو يَحدث تطوّر على آخر ظهور له!".

[الرجل]: "حسنًا، سنعدّ فريق كرينغ للعمَل".

[الرجل الأخر]: "ولكن هذا ليس وقت ظهورهم!".

[أفا]: "القائد أمرَنا إن حدثَ أيّ شيء طارئ نَستدعيَهم ثمّ نَمحي ذاكرتهم على ما حدث هنا وفي الوقت الفِعلي لخروجهم سنَجمعهم مرّةً أُخرى وكأنّها الأولى لهم..".

[الرجل]: "إن كان القائد يرى أن هذا ما نحتاج لنَفعله فهو لا يُخطِئ فيما يقوله".

أبعدَت [أفا] نظرَها عن الرّجل المَصلوب وخرجَت من الفندق لتأخذَ نفسًا عميقًا.

أخرجَت [أفا] من جَيبها عُلبةَ سَجائر، وكامل تركيزها على القمَر، تنفّست الصّعداء وبلحظةٍ سريعةٍ، سمعَت صوتَ عواءٍ استمرّ لمدّةِ دقيقةٍ كاملةٍ بدأَت تتمشّى إلى مكانِ الصّوت وأخذ منها ثواني للوصولِ لتصل إلى مكانٍ خالٍ من الأشجار، رأَت نِيرانًا مُشتعِلة وبجانبها خيمةٌ تشتعلُ، أخذَت تركُض لا إراديًّا فورَ وصولها إلى الخيمةِ استقبلتْها رائحةٌ كريهةٌ جدًّا، وضعَت يدها عند أنفها وهمّت تُخرجُ هاتفها لتتّصل على رقمٍ كتبتهُ وأخذ ثواني وأجابها صوتٌ ثقيلٌ: "سيّدي، جزيرة آران فيها مُستذئِبون! وجرَت جريمةُ قتلٍ أرجو الاستعجال في إطلاق الفريق!!".

[القائد]: "حسن سأطلُق الأمر إلى الجنود ليَجمعوهم ويأتوا بهم اللّيلة إليكم!".

سمعَت [أفا] صوت انكِسار غُصن من خلفها فالتفتَت وقالت: "الوَضع يتطلّب الاستِعجال!".

أغلقَت الاتّصال ووضعَت هاتفها في جيبِها وبدأَت تركض مُبتعدةً عن الرّجل الذي يركُض خلفَها ولونُ عينه أصفر، كان سريعًا يركُض بجنونٍ وصوتُ لُهاثهِ وصل إلى مسامعها، ولكنَّ دقاتَ قلبها كانت مُنتظمةً وتركضُ بكلّ ثقةٍ بعيدًا عنه إلى أن اقتربَ منها ومدّ يدَه ليجرحَ ظهرَها ولكنّها قفزت عاليًا وهبطَت خلفهُ لتجذبَ يدها خلفَ ظهرها وتُخرج مسدّسًا بسرعةٍ عاليةٍ وتُطلِق النار إلى رأسهِ فسقطَ وأكملَت الرّكض إلى الفندقِ،

فهي تَعرف أنّه لن يتجرّأ ويأتي وسط المدينةِ فلا يريد جذبَ الأنظار، وصلَت إلى الفندق ودخلَت فرأت الرّجلين اللذين أتيا معها، ركضا ناحيتها فور أن رأياها بذلك المنظَر وقال أحدهما: "ماذا أصابكِ؟".

قالت [أفا] باستهزاءٍ: "هكذا تتكلّم يا ثون مع عمّتك؟".

[ثون]: "أعتذر يا عمّتي أفا، ولكن منظركِ يَشِي بأنّك رأيتِ شيئًا مُرعبًا؟!".

[أفا]: "نعم لقد رأيتُ متحوّلًا مستذئبًا، فوجودهم هنا ليس بغريبٍ واصطياد الفرائس هنا بغايةِ الصّعوبةِ لأنَّ الجميع يعلَمون عن وجودهم هنا ولن يتَجرّأ أحدهم على الخروج من مَكانه وهو في أمان، ولكن ما رأيته أنا كان يوجد شخص يخيم بخيمة بوسط اكتمال القمر!!".

بدا على وجه ابن أخيها [ثون] الحَماس الذي لا يوجد مُبرّر له وقال: "أخيرًا يا عمّتي أفا سَتبدأ مغامرتي هنا في حماية البشر".

رفعَت يدها وضربَت رأسه وكأنّها تعاتِب طفلًا على هذا الكلام: "لا تتَعجّل فهم لا يَموتون بسرعةٍ! لا تدعْهم يَقتاتونَ عليك فأنت فريسة سريعة لهم!".

ظهرَت مَعالم الانزِعاج عليه وقال [ثون]: "أنا ابن أبي ولن أموت بسرعةٍ! فلديّ الكثير لكي أعيشه!!".

ضحكَت [أفا] وقالَت: "حسنًا يا ابن أبيك ولكن أخبِرني: والدك أين هو؟! يا ثون السّاذج؟".

لم يتكلّم والتفتَ مُبتعدًا عن عمّته، فقالت للرّجل الآخر: "احمِ شَقيقك، هل تفهَم؟".

أومَأ برأسِه وذهبَ إليه، عندما وصلَ إليه رفع يده وضرب رقبتَه وقال له: "أحمَق، كيف تَتكلّم مع أفا هكذا؟!".

[ثون]: "اخرَس يا ساجي فأنا وعمّتي نمازِح بعضنا بعضًا".

ذهبَت أفا إلى [الشّريف] في القِسم والذي كان بداخل أحد المَطاعم وبه مكان مُخصّص صغير للشّرطة ومكتب [الشّريف] الصّغير الذي بالكاد يكفي لخَمسَة أشخاصٍ، ذهبَت إليه وأنبأتْه عن الجريمة التي رأتها، في بادئ الأمر حاول أن يظهر مَعالم الذّهول وكأنّه لا يُصدّق ما يَسمَعه،

ولكن فورَ أن قالَت أفا: "لا داعي لأن تُخبّئ هذا الشّيء عنّي فأنا أعرف عن المُستذئِبين ووجودهم هنا ليس بالأمر الغَريب فهم يُفضّلون الأماكن المُغلقَة لكي يبعدوا الشّبهات عنهم ولِئَلّا يفعلوا جرائم كثيرة فوجودهم بالمدن يَجذِب الانتِباه في وقت اكتِمال القمر".

نهضَ [الشّريف] عن كرسيّه وقال: "لقد حاوَلنا كثيرًا اصطيادهم وطردَهم، ولكن كلّمَا ظَننّا أنّهم هربوا إلا أنّه في وقت اكتِمال القمر نسمع عُواءهم الذي لا يتوقّف مهمَا أطلقنا النار عليهم لا يتأثّرون منه".

[أفا]: "نعم قوّة الشّفاء لديهم قويّةٌ والرّصاص لن يكفي وحده لأن يقتلَهم حتّى لو على الرّأس سيَنهَض ويُكمل اصطِياده".

[الشريف]: "يجِب أن أذهب لأرى الجثّة أعتقِد أنّه أحد السيّاح قد قتلَه لأنه كل من يوجد بالجزيرة يعرفون عن هذا الأمر ولا يَخرجون في وقت اكتمال القمر!!".

أوقفتْه [أفا] بكلماتها الحادّة: "لا تذهَب هناك فهو موجود بالمكان ولن يرحلَ، فهو ذكي جدًا ويعلم أنّه سيأتي شخص آخر ليبحثَ عن الجثّة فذلك سيَصعّبُ عليك إمساكه".

[الشريف]: "يا إلهي ماذا يحدُث في هذهِ بالجزيرة؟ كيف يُمكنني تفسيره للسيّاحِ؟! مَقتَل هذا الرّجل وذلك الوَحش الطّليق الذي يَقتات على السيّاح!".

[أفا]: "لا تقلَق أيها [الشّريف]، كلُّ شيءٍ سينحلّ وسَتتدخّل الاستِخبارات الأمريكية لما وراء الطّبيعة، لدينا فريق مُعدٌّ لفِعل تلك الأشياء مُسبقًا ولديهم خِبرَة عالية بالتّعامل مع تلك الأشياء الخارجة عن الطبّيعة".

[الشريف]: "متى سيأتون؟؟".

ابتسمَت [أفا] وقالت: "في أيّ وقت، في أي وقت...

17

نَـهضَ [سـام] و[سـارة] فـي الـوقـتِ نـفسه عـلـى صـوت الـعُواء الـقويّ الـذي أفزعَهما من صمتهما، أتَت [ماري] بسرعةٍ إليهما ووضعَت إصبعها عند فمِها وقالت [ماري] وهي تقترِب منهما ببطءٍ: "لا أحد يتحدّث، كونا ساكنَين لا نريدُ أن نجذبَ انتباههم".

تحدّث [سام] بخفّةٍ: "عن ماذا تتحدّثين؟ هذا مُجرّد ذئبٍ لقد سمعتُ صوته مرّاتٍ عدّة".

أجابتْه [ماري] والبسمَة بوجهها: "ولكن هل سمعتَ عُواء المُستذئِبين؟".

ظهرَت معالم الاستِغراب على وجهِ [سام] و[سارة] فقال: "مُستذئبين؟! هم ليسوا حقيقةً لكي نصدّقهم فهم مجرّدُ قصصٍ تُروى للأطفال، منذ متّى هم حَقيقة؟؟".

[ماري]: "صدّقني الذي يَحدُث لنا الآن سيُصبح قصّةً تُروى ولن يصدّقها أحدٌ لأنّه لم يعايشها ولا أريد تكرار الكلام نفسه".

خرجَت [سارة] عن صمتِها وقالت: "منذ متى وهم موجودون هنا؟!"

فتحَت [ماري] فمها للتحدّث ولكن صمتَت بعد أن سمعَت صوت طلقة نار قرّرَت التّحرّك من مكانها والذّهاب إلى الخارج ذهبَ خلفها [سام] و[سارة] لم تتحرّك كان باب المنزل مفتوحًا كما تركته [ماري] وكانت تركُض ركضًا لا يناسب عمرها وصلَت إلى مكانٍ كان خاليًا من الأشجار وتوجد جثّةٌ لرجلٍ ساقطٍ وعلى رأسه طلقةٌ ناريّةٌ وينزِف من خلالها، سقطَت [ماري] أمام الجثّة ووضعَت يدها عند عُنقه لتَقيس نبَضاته التي كانت بطيئةً فشعرَ الرّجل بيد [ماري] الباردة وفتح عينيهِ التي كانت تشعّ باللّون الأصفر فلمَّا رآها بسرعة أخرجَ أنيابَه وحاولَ عضّها ولكن أبعدتْها وكان التّعب ظاهرًا على ملامح وجهِه

قال [سام] بخوفٍ: "هل هذا؟".

صمتَ عندما التفتَ الرّجل للنّظر إليه فقالت [ماري]: "نعم إنه مُتحوّلٌ الآن ولا يشعُر بنفسهِ، كمَا يبدو أن هذه المرّة الأولى التي يتحوّل بها بسبب عدم قوّة الشّفاء لديه، يجِب أن أخرجَ الرّصاصةَ من رأسه لكي يتمكّن من العيش لأنّ الرّصاصة كمَا يبدو مِن النّوع الذي يُضعِف قوّة الشّفاء لديه رغم أنّها هي ضعيفة من الأساس!!.

أمسكَت [ماري] بيده وبدأَت تَسحَبه و[سام] ينظُر إليها لا يعرف ماذا يفعل ولكن رفعَت رأسَها له وقالت [ماري] وهي تَكمِل سَحبه: "إلى ماذا تنظُر؟ هيّا ساعدني!".

ذهبَ إليها وأمسكَ بيده الأخرى وبدأَ يَسحَب إلى أن وَصلا إلى منزل [ماري] فوَضعاه على الأريكة التي كانت [سارة] مُتمدّدة عليها، صعدَت [ماري] إلى غرفتها لتُحضِر صندوق الإسعافات ومِلقطًا للرّصاص وَضعتْه على الطّاولة القريبةِ واتّجهَت للرّجل الذي أصبح يُخرِجُ صوتَ شخيرٍ عالٍ فقالت [ماري] بتوتّرٍ: "إنه يمرّ بمرحلةٍ خطيرةٍ!".

مدّت يدها عند رأسِه وأدخلَت مِلقَط الرّصاص وبدأَت تبحَث عن الرّصاصةِ فورَ أن شعرَت بها سَحبتْها ووضعتْها عند عينيها، كانت رصاصة مشعّة باللّون الأزرق وضعتْها على الطّاولة، ليبدأ جسد الرّجل بالرّجَفان وبعض أعضاء جسده تتكسّر بقوة ليبدأ الرّجل يصرخ بقوّة عالية، ظهرَت معالم الصّدمة بوجه [ماري] فهي لم تتوقّع أن يتحوّل لذئب وعلمَت عن الخطَر القادم بسبب هذا الشّيء فأمسكَت بيد [سارة] وسَحبتْها ذاهبة بها إلى الأعلى و[سام] بدأ يركُض خلفهما وصرَخات الألم لم تتوقّف قط، دخلوا إلى الغُرفة وأغلقَ [سام] من خلفه الباب وأقفلَه.

هدأَ المكان فذهبَت [ماري] إلى النافذة لتُلقي نظرةً سريعةً لكن وجدت رجلين وامرأة ينظُرون إلى الباب وبالتّحديد إلى المكان الذي وضعَت به الرّجل، فلم تأخذ ثواني وخرج عُواء قَويّ جدًا وخرج من المنزل ذئبٌ وبدأ الذين بالخارج يَصرُخون خلفَه ثمّ سَقَطوا على رُكبهم ساجدين له لأنّهم وَجدوا قائدهم الحَقيقيّ!

التفّت [ماري] إلى [سام] وطلبَت منه ألا يُخرجَ أيّ صوتٍ وأشارَت له بيدها أن يَصمُت ولا يتحدّث فأومأَ برأسه وجلسَ على الأرض بهدوءٍ وجلسَت [سارة] بجانبه وحَضَنها ليُهدّئَ مِن حالِها.

[ماري] تكمِل نظرها إلى الخارج، رأَت المُستذئبين يرحلون عن منزلها فنزلَت إلى الأسفل تاركةً [سام] و[سارة] واتّجهَت إلى الطّاولة التي وضعَت الرّصاصة عليها وعادَت إلى الأعلى أغلقَت الباب وجلسَت جانب [سام] وقالَت له وهي ترفع الرّصاصة: "هذه رَصاصة الأكوستدين".

نظر [سام] لها باستِغراب وقال: "ما تِلك الأكوستدين؟".

ابتسمَت [ماري] وفهمَ [سام] أنه يُوجد حديث طويل

فأخذت نفسًا وتَحدّثت: تلك المادة اكتشفَها العلماء في عام 1891 عندما حفر أحدُ رجال الحكومة أحدَ الكهوف ووجدَ حجرًا يشعّ باللّون الأزرق عندما لمسَه تغيّرت أجزاء كثيرة من الجينات الوِراثية وبدأَت تحدُث له أشياء غريبة من التغيّرات الجسديّة وتَلهّفه للدّماء وأكلِ الأَشياءِ النّيئةِ وأشياء كثيرة غريبة لم يَعتدها البشَر، فبدأَت الحُكومة بإجراء الكثيرِ من التّجارِب عليه إلى أن اكتَشفوا أن تِلك المادّة التي مدّته بالطّاقة هي نفسها التي ستَقتله!، وذلك الرّجل ما زال مَحبوسًا بمكانه وتوقفَ جَسدُه عن النّمو وعمره توقّف فما زال بعمر الشباب ولن يخرج من هذا المكان حتى يتمكّن من التحكّم بنَهَمِه للدّماء!".

تحدّث [سام]: "ولكن ماذا تفعل تلك الرّصاصة في رأس هذا المُتحوّل؟!".

[ماري]: "لقد عرفتُ أن الاستِخبارات الأمريكية هنا وثلاثة من جنودها قد حضروا هنا وهم بالتأكيد لديهم تلك الإمكانية للحُصول على المادة!".

[سام]: "وأنتِ بالتأكيد تَتحدّثين عن تلك المَرأة التي ناهزَت 100 عام؟".

أومأَت [ماري] برأسها، ليُدركَ [سام] أنّه يَعيش في عالم آخر بعيدٍ عن الجَهل الذي كان يُعايشه ويكذّبه...

18

حاولَت تلك المرأة العَجوز أن تجمعَ قُواها لكي تبحَث عن نِصفها المَفقود؛ دخلَت المنطقة المَحظورة في الغابة ولم تظهَر ملامح التّعب عليها لأجل رِحلة البَحث المُخيفة التي قامَت بها بلَحظَة خوف على زوجها، كانت تخاف من كلّ صوتٍ تَسمَعه، نَعيق الغُراب وصوت دوسها على أغصان الشّجر الصغيرة والتي كانت تَجعلها تشعُر أنّها عظام تتكسّر أمامها، وبعد مشي طويل وصلَت عند نهاية الجزيرة، وصوت الأمواج التي تتلاطَم في عقلها لم يَرحَل، وقفَت عند طرَف النّهاية تنظر ودُموعها تتساقَط، تصاعدَت دقّات قلبها في اللّحظة التي سَمعَت فيها عواء ذئبٍ!

حرّكت رجلها دون شُعور منها وكادَت تسقُط ولكن أمسكتها يدٌ لا تعلم من أين أتت وأعادتْها إلى وعيها ليَصرُخ شخصٌ عليها وهي لم تنظُر إليه: "ماذا تفعلين هنا؟!!".

التفّت للشّخص وأصبحَت دقّات قلبها أسرع ممّا قبل ونَهضَت بسُرعة وحَضنَت الشّخص وقالت مُعاتِبة: "لماذا تركتَني هكذا يا [ديفيد]، ألا يَكفيك ما واجهناه!؟".

أبعدَها [ديفيد] عن حُضنِه وأغلقَ فمَها بكفّ يده وتحدّث بهمسٍ وشفَتاه ترتَجفان: "لا تتَحدّثي إنهُ هنا!".

تغيّرت ملامح وَجهِها إلى استِغرابٍ وكادَت أن تسألهُ ولكنّه أجابها بخوفٍ أكثر: "القسّ، إنّهُ هنا".

نظرَت [سافانا] له بسُخرية وقالت: "هل تظنّ هذا الوقت المناسب لمُزاحكَ؟!!".

التفت [ديفيد] ورفع إصبعه وأشارَ إلى نفقٍ مفتوحٍ وكان مُشعًّا باللون الأحمر المُرعِب وكأنّ ذلك المكان هو وَكرُ الشّيطان!

رأت [سأفانا] ظلاًّ يتحرّك بالدّاخل واختلجَ قلبُها، ما رأتْه لم يكن ظلاًّ عاديًّا بل ظلاًّ لشيءٍ ضَخمٍ ولديهِ عدّة رُؤوس، وفجأةً بدأ يُخرجُ صوتًا بسيطًا وبدأ يعلو بالتّدريجِ فالتفَتا إلى ذلك الصّوت وكان مَصدره فوقهما في السّماء، كانت تلك الطائرةُ الحربيّةُ التي مرّت فوق الجزيرةِ وهبطَت بمكانِ الطائرة السابقةِ، سمعَا في ناحية الكهف صوتًا مثل الأنين وبدأ الظلّ يقترب من فُوّهَة الكَهف ليَخرج بنيّة الذّهاب إلى مكانِ الطّائرةِ فأمسكَ [ديفيد] برَقبة [سأفانا] وأنزلَها بقوّة لتَستَلقي على الأرض على بطنها وهو بجانبها فبدَءا ينظران إليه بترقّب مُرعبٍ شديد .

توقّف فجأةً بدأ يلتفّ برأسه الأسود حول المَكان وعيناه تنظُران لكلّ شيءٍ وكأنّهما تَبحثان عن شيءٍ ما، أغمضَت [سأفانا] عينيها، و[ديفيد] لم يُبعد ناظريه عنه، لم يتمكّن من مُوازنَة مَشاعره، كانت مُتضاربةً بين الغضبِ والخوفِ، وفجأةً توقّفَ الوَحش عن النّظر والتقَت عينُ [ديفيد] بعينه!

ودون سابق إنذار تحرّك الوحش ناحيتهما وهو يَضحك بشكلٍ مُرعبٍ، أمسكَ [ديفيد] بيد زوجته وأنهضَها بسرعةٍ ففتحَت عينيها لتَتفاجأ بالمَشهدِ الذي أمامها وتَسمَع صوتَ [ديفيد] يَصرخُ مُحاولًا كسرَ ذاكَ الذّهولِ الذي اعترى وَجهها وقال لها: "اهرُبي من هنا".

لم تتَحرّك [سأفانا] بسبب ذلك المَنظَر؛ لم تكن تقوى على الحِراك، وقفَت مَذهولةً أمامَ ذاك الوَحش الذي بدا أمامها وكأنّهُ أسطورةٌ من أساطيرِ الخيالِ: "اهرُبي أيّتها الغبيّة!".

قالها الوحش بصوتٍ خشنٍ ثمّ أكمل ضِحكتَه،

بدأَت [سأفانا] تركُض دون أن تنظرَ خلفَها، بدأ [ديفيد] يَركُضُ مِن جهة فوّهة الكَهف، تَوقّفت ضحكات الوَحش وكأنّهُ أدركَ المَخاطِر التي ستَحدُث له عندما يدخل [ديفيد] إلى الكهف فبدأ يركُض خلف [ديفيد] ليُمسِك به .

أصبحَ [ديفيد] يركُض بشَكلٍ مُريب وكأن شبابه عاد إليه بتلك اللّحظة خَطى آخر خطوةٍ وسقطَ داخل الكهف ليَتقلّب بقوّة إلى وسط الكهف، أتى إلى مَسامعه صوتُ ارتطامٍ قويّ ليهتزّ الكهف وتتساقَط من فوقه الصّخور، وضعَ كفّيه على الأرض ورَفعَ نفسَه قليلاً ولكن التّعب هذه المرة كان أقوى منه، أنزلَ جسده إلى الأرض والتفتَ ووَجدَ حجرًا يَطفو ذا شَكلٍ غريبٍ يَلمَع باللّون الأحمر الدّموي، بدأ يَزحَف نحوه والعرَق ينزل بغزارةٍ منه بسبب الحَرارة التي تَخرُج من ذلك الحَجر، كانت صرخات الوَحش لم تتوقّف، كان يصرخ بكلماتٍ غير مفهومةٍ، عندما وصلَ [ديفيد] عند الحجر رفعَ يده ليَلمسَه وعندما اقتربَت يده من الحجر صرخَ الوحش بكلمة مَفهومة جعلَت قلبَه يَرتعِب: "إن لمستَ الحجر فسأقتُل زوجتك!".

أسقطَ [ديفيد] يده في الأرض وحاولَ مرّة أخرى أن ينهضَ ونجحَ بالفِعل فذهب ناحية فوّهة الكهف والتقَت مُجددًا أعينهما ببعضٍ ونظرات الكرهِ كانت حاضرة بينهمَا توقّف [ديفيد] بعيدًا عنه وقال بصوتٍ خافتٍ ولكنّهُ مَسموعٌ للوَحش: "لماذا تَفعل بنَا هكذا؟!".

بدأت الرّؤوس الثلاثة تَختفي وتُصبح واحدًا ويُصبِح شكله بشريًّا أكثر مما قبل: "خطاياكم هي من تفعل بكم هكذا وليس أنا!!".

أخذ [ديفيد] نفسًا عَميقًا وقال: "لقد رأيتُ صورك في الكنيسة، أنتَ القسّ، لقد تعلّمت من والدي أنّ القسّيسين أناسٌ أنقياء لا يَحملون في قلوبهم إلا الخَير ولكن أنت، أنت شيءٌ آخر، أنت كتلةٌ من الشرّ مُتجسّدة بهيئةِ قسّ، مَن أنت وماذا تُريد منّا!!".

ظهرَت الابتِسامة بوجهه وقال بصوتٍ عالٍ جعل الكهف يهتز من قوّة كلماته: "أنا! عدوّ الحياة! أنا من لَمستُ تلك النّجوم المَلعونَة ورأيتُ ضَوء آلاف الشّموس!، أنا العذاب... أنا نُسخةٌ غير مُقدّسة من الحياة وسُخرية من حياتها... أنا خَطيئَة الأرض ولعنةُ السّماء... أنا لستُ ملكًا... أنا لستُ إلهًا!!! أنا أسوأ من كلّ هذا!!".

عندما توقّفَ عن الحديث حلّ الصّمت بالمكان بشكلٍ مُرعبٍ فلم يتمكّن [ديفيد] من الحديث، فكلّ ما سمعه جعله يتيقّنُ أنّه أمام وحشٍ وليس له صلةٌ بالبشر!!

[الوحش]: "والآن أُريدك أن تَخرج لنتواجَه رجلاً لرجلٍ ما رأيك؟".

ابتسمَ [ديفيد] والثّقة ليسَت بمحلّها، من يمكنه مُواجهَة كيانٍ شِريرٍ، فالتفتَ إلى الحجر ناظرًا إليه ولكن وقعَت عيناهُ على شيءٍ أسفله يشعُّ باللّون الأزرق، وعندما بدأ يذهَب ناحية الحجر صرَخ [الوَحش] وقال: "توقّففففف!!!!".

ولكن لم يتوقّف، وعندما اقتربَ منه وجدَها رصاصة مُستخدَمة ولكن الإشعاع الغَريب جذبَه فكانت الرّصاصة بداخلها كبسولة وبها سائل باللّون الأزرق فتَعجّب منه وأمسكَه وشعر بشعورٍ غريبٍ وكأنّ كلّ ذلك التّعب اختَفى منه فورَ إمساكه للرّصاصةِ، عاد [ديفيد] إلى فوّهة الكهف ورأى نظراتِ الوَحش التي تراقِب النّور الأحمر الذي لم يَختفِ فعرفَ أن [ديفيد] لم يأخذ الحَجر: "دَعني أخرُج من هنا ولن آخذ ذلك الحَجر!".

[الوحش]: "إن خرجتَ من هنا أَعدُك ستَكون جثّةً هامدة مثل ابنك".

19

بدأَت [ماري] تفكّرُ بشيءٍ قد يأخُذ روحَها ولكن يجِب أن تجرّب ذلك الشّيء طالمَا سيُنقِذ كثيرًا من أرواح السيّاح وخاصّةً [سارة] و[سام] فقد أصبَحا مثل أطفالِها، لا تُريد أن يَحدُث لهما شيء دون أن تفعل هي ما يمكنها فعلهُ، أخبرَت [سام] بمَا تُريدُ أن تفعله ولكن لا تُريده أن يلحَقها أو يناقشَها فهذا آخر ما يمكن أن تَفعله من أجلِهما لمواجهة ذلك الوَحش المُريب!!

خرجَت [ماري] من المنزل و[سام] و[سارة] بعضهما بجانب بعض ينظران إليها من خلال النّافذة خائفين من فِكرتِها المَجنونة وخاصّةً في اكتمال القمر!

قالت [ماري] في نفسها: "يجب أن أذهب إلى عَرينِهم".

ففكّرت في نفسِها مرةً أُخرى: "لكن كيف أتواصَل معهم! فهذا الوَقت خطِرٌ جدًّا".

بدأت تنظُر إلى أثر مَشي الذّئب وتَلحقَه، الخطّة التي بعَقلها أن تذهبَ إلى الذئب وتطلُب مُساعدتَه بطَريقةٍ سَمعَتها من أجدادها، وبعد مشيٍ مستمرٍّ وصلَت إلى مَكان وجود الذّئب القائدِ فرأتْه يَلتهِم مُستذئبًا مُتحوّلًا وكان ذلك المُستذئِب فيمَا سبَق قائدهم ولكن مَن يُصبِح أقوى ويتحدّى القائد ويفوز يُصبح قائدهم الجديد، كان بينهما مسافة كبيرة فتعمّدَت أن تتنَحنَح بصوتٍ عالٍ لكي يَلتفتَ إليها وهذا بالفعل ما حدث.

التفتَ إليها بعينينِ حمراوين مُشعّتين مُخيفتينِ بحق فبدأ يُزمجرُ نحوَها ويقترِب بحركةٍ بطيئةٍ، نزلَت [ماري] على ركبتيها ورسمَت حولها دائرةً مِن رَمادِ شجرةِ كآماس والتي يحتاجُ تَحويلها إلى رَماد إلى الكثيرٍ من الحذَر وطريقة استِخدامه كذلك فرمادُ تلك الشّجرة يَجعل الذئب يَرتَخي أكثر عندما يقترِب منها ويجعل التّعامل معه أسهَل بكثيرٍ، اقتربَ الذّئب منها وأصبحَت زَمجرَته أخفّ ممّا قبل، أخذَت [ماري] نفسًا عميقًا بعد أن عَلمَت أنَّ ما فعلتْه نجحَ، أخذَت تبتسم بثقةٍ وقالَت للذئب: "أنا من ساعدتك هل تَتذكّرني؟".

أنزلَ الذّئب رأسَه وبدأ يتشكّل بهَيئة رجلٍ عاديٍّ فنظرَت [ماري] إلى وَجهِه ونهضَت من مكانها وقالَت: "أنا أَحتاج مُساعدتك".

ابتسم [قائد المستذئبين] وقال: "لك ذلك، لك فضلٌ كبيرٌ جدًّا فأقلّ ما أفعله من أجلك أن أُساعدك لمرّة واحدة".

[ماري]: "أشكرُك على كرمك ولكن مُساعدتك ستكون خطيرةً جدًّا عليك وعلى أتباعك وهذا شيءٌ خطيرٌ بمَا أنّك للتوّ أصبحَت قائدًا عليهم".
[قائد المستذئبين]: "القائد الحقيقي هو من يَتبَعه أتباعه حتّى لو كانت الوِجهةُ إلى الموت وأنا أَثبتُّ لهم أنّني قائدٌ حقيقيٌّ في اكتمال تحوّلي أمام أعينهم والآن أخبِريني ماذا تُريدين أن أفعلَ من أجلك؟!".

أخبرَته [ماري] بمَا يجري في جزيرة آران ومَقتل العَديد من السيّاح وعن ذلك الوَحش المُريب الذي يُلاحقهم هم فقط والذي لن يتوقّف عن ذلك بعد قتلهم جميعًا بل سيَقتل جميع من يسكُن في الجزيرة دون توقُّفٍ إلى أن ينتقل شرّه إلى العالم الخارجيّ [ماري]: "والآن هذا الوقت المُناسب جدًّا لكي تُساعدنا فوقتُ اكتِمال القمر تكون لديكم قوّةٌ غير اعتياديّةٍ فسيكون لدينا كفةٌ في هَزيمَته بشكلٍ أفضل".

قاطعَها[قائد المستذئبين] وقال: "لقَد رأيتُ امرأة وأطلقَت على رأسي وكانت تلك الرّصاصة ستَقتلني لولا تَدخُّلك فلماذا لا تَذهبين إليها لتُساعدك؟ بمَا أنّها خبيرةٌ بالتّعامل معي فلم أرَ امرأةً ذكيّةً أمكنَها المُواجَهة بتلك الطّريقة!!".

[ماري]: "تلك المَرأة لها قصّة أخرى ولكن لا أريد أن أضعَ جميع آمالي عليها مثل شَقيقي الأحمَق الذي يظنّ أنها سَتقتُل ذلك الوَحش مثل المرّة التي سبقَت فهو الآن أكثر قوّةً وإيمانًا بأنَّ ما يفعلهُ صحيحٌ".

[قائد المستذئبين]: "حسنًا سأمر أتباعي بالبَحث عنه وعن مكان وَكرِه وسأُخبرك بذلك ونذهَب معًا لمُواجهتِه ونَضربه ضَربةً قويّةً، أعلمُ أنّكِ امرأةٌ قويّةٌ ولديك الكثيرُ من العلوم فوُجودك معنا سيَجعلنا أكثرَ قوّةً".

ابتسمَت [ماري] وقالت: أنت تَعرِف منزلي فعندما يَحين الوقت يُمكنك استِخدام طَريقتك في جَعلي أخرُج وأذهبُ معك!".

أغمضَ عَينيه الرّجل لثوانٍ عدّة ثمّ فتحَهما وأصبَحتا مُشعّتينِ باللّونِ الأحمرِ، وابتسمَ بثقةٍ ثمّ ركضَ إلى الغابة وتَحوّل إلى ذئبٍ، فسمعَت [ماري] صوت عواءٍ قويٍّ أعطاها طاقةً للرّكضِ إلى منزلها لتُخبرَ [سام] عن الخطّة التي يجِب أن يفعلوها مع...

****

عادَت [ماري] إلى المنزل والتقَت بـ [سام] فباشَرَت بإخباره بالخطّة: "أتذكّر أنّك أخبرتَني عندما لمسَ الوَحشُ المياه المُقدّسة هربَ من المَكان لهذا أُريدك أن تذهبَ إلى الكنيسَة وتأتي لنا منها".

أجابَها [سام] إجابةً جعلَ آمالَها تتَلاشى: "ولكن مع اصطِدام جثّة [جيرمي] بالنّافورة كلّ المياه قد سقطَت على الأرض فكيف لي أن آتي بها! والمياه المُقدّسة كان القسّ هو من يَتلو عليها من آيات الرّبّ في الكتاب المُقدّس والآن هو ميّت!".

ضربَت [ماري] يدَها برأسها وقالَت: "تبًّا لذلك، نُريد أي شيء يخصّ القسّ ” قد قرأَ عليه".

حلّ الصّمت بالمَكان لثوانٍ لتَكسرَه [سارة] بقولها: "ماذا عن الصّليب!؟ هل سيُجدي؟".

تَهلّلَت أعين [ماري] فقالت: "الصّليب الذي دُفنَ مع القسّ سينفعُنا!".

وفجأة دونَ سابق إنذارٍ سمِعوا صوت عُواء خارج منزلِ [ماري] لتَخرج بسرعةٍ وتَرى عددًا كبيرًا ورأَت العديد من الرّجالِ، كانت أعينهم مُشعّة ويتوسّطهم ذئبٌ، فتقدّم أحدهم وقال: "أتقدّم بنفسي وبعد مُوافقة ” القائد لأُساعدكم في نَبش قبر القسّ وإخراج الصّليب الذي كان يَرتَديه، ولكن أُريد أن يُرافقني أحدكم".

نظرَ الرّجل إلى الذّئب والذي أومأَ برأسِه فخرجَ [سام] وقال:

"إذًا هيّا لنذهب!".

تقدّم [سام] لينزل على الدّرج، ولكن أمسكتْه [سارة] بخوف وقالت: "أرجوك لا تَتركني!".

لَمعَت أعين [سارة] فقال [سام] لها وهو يَمسَح على خدّها: "أَعدك أنّني سألتقي بكِ فورَ انتِهائي من جَلب الصّليب أنا وأنتِ روحان مُلتصِقتان ولن يُفرّقنا إلّا الموت".

احتَضنَت [سارة] [سام] بقوّة لتَبدأ بالبُكاءِ كالطّفلة، أمسكَت [ماري] كتفها وأبعدتْها عن [سام] فقالت لها: "اتركيه يَذهَب فالوقت ضيّق جدًا على خروج الشّمس!".

ذهبَ [سام] مع الرّجل الذي بدأ يركُض وخلفَه [سام] الذي لم يتجرّأ أن يَلتفِت فالنّظر إلى الخلف كأنّك تنظُر إلى جَحيمك فكن ناظرًا إلى أمامكَ واجرِ إلى روحِك وتثبّت بها...

20

الأربَعة!

نَزلَت الطّائرة وكانَت أفا تنظُر إليها وعندما فُتح الباب نزل أربعةُ أشخاصٍ أعمارهم مُتقاربةٌ من بعضٍ فبدَوْا مَذهولين لقُدومهم هنَا دون أن يَعرِفوا شيئًا، تقدّمَ رجلٌ أمامَ أفا وقال لها: "سيّدتي هل يُمكنك إخباري بمَا يَجري هنَا؟؟".

قالَت [أفا] له: "أهلاً بكَ [غولين]".

صُدمَ [غولين] أنّ تلك المرأة تَعرفه وهو أوّل مرّة يلتَقي بها

فقال [غولين] لها: "كيف تَعرفينني؟!".

ذهبَت أفا إلى شابة وقالَت لها وهي تبتسِم: "أهل بك [سوزي]".

لم تظهَر مَعالم الصّدمة بوجهها،

ولكن اكتفَت في داخل نفسها بالقول: "ما هذا بحقّ الرّبّ؟!".

ونظرَت للرّجل الآخر الذي يقِفُ جانب [سوزي] ورَحبّت به: "أهلاً [فوستر] تشرّفتُ بمَجيئك".

تقدّم رَجلٌ ظهرَت ملامح الغَضبِ عليه وقال: "ماذا تُريدين منَّا لماذا أَحضرتِنا هنا!؟ لماذا نحن بالتّحديد وما تلك الطّائرة التي جعلتنا نصِل إلى إسكُتلندا بحدود ساعة فقط!!".

تدخّلَت [سوزي] بغَباءٍ وقالت: "أنحنُ الآن في إسكُتلندا!!؟".

وضعَت أفا كلتَا يديها على وَجهِها وقالَت في نفسها: "التّعامل مع أبناء أخي أسهَل منهم!".

أنزلَت [أفا] يديها وقالت: "أهلاً بك سيّد [كيوني] سعيدة بقُدومك".

قال [غولين] بحَماس: "هل نحن هنا من أجل رحلة تَرفيهيّة؟؟".
تَغيّرت ملامح أفا إلى جديّة وعرّفتهم على نفسها وماذا تُريد منهم في القَضاء على تلك الكينونة الطّليقة هنا، فتغيّرت ملامحَهم جميعًا إلى رَهبةٍ وخوفٍ فهذه أول مرّةٍ يَجتمعون فيها ولا يَعرفون بماذا سيُساعدونَها بالضّبط!

كان التّوتُّر يَحتلّ المكان فكان [غولين] و[سوزي] يعملان بعضهما مع بعض بسبب العمل المُشترَك بينهما وهُما من علماء المَخلوقات الما وراء طبيعيّة ولديها بعض الخِبرة في دراسة المَخلوق لفترَة طويلة ولن تتمكّن من دراسة هذا المَخلوق الذي أطلقَت أفا اسم دراكاونس و أنّه مَخلوقٌ فضائيٌّ لديه مَهمّته في تَدمير الأرض من خِلال أوّل شخصٍ يَرتبِط به فهو يُعظّمُ الكراهيةَ ويبحث عمّا بداخل المرتبِط به ويستغلّهُ، و[كيوني]و[فوستر] همَا عسكريان يعملان في تخصّصات تُناقض بعضها بعضًا لأن [كيوني] يعمل في صناعة الأسلِحة للقَضاء على الكينونات و[فوستر] يعمل على صناعة أسلحةٍ للقَضاء بها على البشر بأسهل الطّرُق دون ترك أثر عليهم...

خَبايا الحياة كثيرة وأصولها قليلة قد نُصدّقها أو لا نصدّقها، ولكن لن تكون الحقيقة خفيّة!

بعد أن علم كلّ شخص بعمله والشّخص الذي سيعمل معه بَدؤوا بالعمل، كانت أفا تعلَم مكان [دراكاونس]، وكانت الخطّة كالتالي:
[فوستر] وكيوني سيُواجِهانه عن قرب و[غولين] و[سوزي] سيَعملان بعيدًا عنهما لأجل اكتِشاف الطّريقة لإخراج [دراكاونس] عن الرّجل الذي هو مُرتبطٌ به لأنّهم لا يُريدون قَتله فهو بالأول والأخير مجرّد رجل لا دخلَ له بكلّ هذا الموضوع!

21

لم يَتوقّف [سام] عن الرّكض خلف ذلك المُستذئِب ومع ركضِه المُستمرّ بدأ يَسمَع صوت الغِربان فهو عالٍ جدًّا وهنَا علم أنّه وصلَ إلى وِجهتِه توقّف المُستذئب وقال لـ [سام]: "وصلنَا إلى المَقبَرة ولكن هل تَعلم أين دُفنَ القسّ؟".

نظرَ [سام] إليه بتَوتّر: "ولكن كيف أعرِف مَكانه وأنا لم أُشاركهم في الدّفن؟؟".

توهّجَت عين [المُستذئب] وزَمجرَ غاضبًا

وقال وهو يَقترِب منه ببُطءٍ: "سأَجعلك تعرِف مكان قبرِك أعدُك!!".

رفعَ [سام] يديه خوفًا منه وقال: "يا رجُل أقسِم لك لا أعرف مكانه ماذا تُريد أن أفعل؟! قبل الدّفن حدثَت عاصفةٌ ولم يَدعْنا رجالُ القريةِ نُشاركُ بدفنِ جثّةِ القسّ!!".

لفتَ نظرَ [سام] شيء يلمَع خلف [المُستذئب] فأشارَ إليه بخوف وقال:

"ما ذلك الشّيء الذي يتحرّك؟!".

لم يلتفِت [المُستذئِب] خلفه ظنَّ أنه يَخدَعه لكي يَهرُب فابتسَم وقال: "خِدعَة الأطفال لن تَنطلي عليّ و...".

لم يتمكّن من أن يكملَ حديثهُ إلا وشيءٌ حادٌّ انغرَسَ بوجهِهِ فالتفَتَ [سام] خلفَه وبدأَ يركُض بخوفٍ شديدٍ تعالَت أنفاسُه ومِن شدّةِ الرّعبِ التفَت خلفه وهنا رأى جَحيمهُ!

مَخلوقٌ قصيرٌ لديهِ عينٌ واحدةٌ، جسدهُ لونه أسود ولديهِ جسدٌ بشريٌّ وفي إحدى يديهِ شيءٌ حادٌّ أشبهُ بالسّكين تَقطُرُ منهُ الدّماء، ومِن سوءِ حظّ [سام] لم يكن ينظُر أمامه ولم يعلَم أنه تُوجد شجرةٌ ساقطةٌ تَنتظرهُ أن يقفزَ ولكنّه لم يتمكّن من القفزِ وسقطَ على الأرض مُتقلّبًا مرّاتٍ عدّة إلى أن توقّفَ وبدأ يُخرج أنينًا من شدّةِ الألمِ وفي تلك اللّحظة كان سُمعهُ قويًّا بشكلٍ غريبٍ حتّى كان يَستطيعُ سماعَ دقّات قلبه وكأنَّ لديه تلك السّماعة فعلمَ أنّه يوجد مخلوقٌ آخر سيُشاركه في قَتله، أغمضَ [سام] عينيه يتمنّى الموت في قلبِه من دونِ أن يتعذّب، ولكنّهُ سمعَ صوتَ اصطدامٍ وعندما نظرَ أمامه وجدَ ذلك الذّئب يُصارع المَخلوق بضراوةٍ فكان ذلك القِزم سريعًا والذّئب شرِسٌ يُقاتلُ بضراوةٍ وشدّة وهجَماته كانت ذكيّةً وسريعةً، فتارةً يعضّهُ من رجله، وتارةً يقفزُ عليه ويضربهُ برجليهِ، ثمّ يسقُط وينهض بسرعةٍ ليُحاوِل الذئب مرّةً أُخرى عضَّ يدهِ التي يَحملُ بها الشّيء الحادّ ولكن كان ذلك أسوأ ما فعله بسبب الجُرح بفكّه من حدّة ما عضّه كان منظر الذّئب وفاهه يكاد يَسقُط مُرعبًا لعينيّ [سام]

ولكن فجأةً أخذ يلتئِم وتوهّجت عيناهُ باللّون الأحمر وزَمجرَ على المَخلوق بقوّةٍ لحدٍّ جعل الغربانَ تَتطايرُ خوفًا مِن ذلك الذّئب الشّرسِ الذي أصبحَ جسده أكبر حَجمًا وصوت العِظام عندما كبر حجمه أزعجَ أذنَيْ [سام] بشدّة، ركضَ الذّئب نَحو القزم والتهمَ رأسَه وقطّعه ليَسقطَ جَسد القزم والذّئب يَبصُق الرأس جانب [سام] والذي شاهدَ ملامح القزم بشكلٍ واضحٍ ومُرعبٍ!

بدأ الذّئب يقترِب منه وهو يلهث من شدّة التّعب وبدأ جسده يعود كمَا كان أغمضَ [سام] عينيهِ لفترةٍ ثمّ فتحَهما ليُعيدَ النّظرَ إلى رأس القزم والذي لَفتَه فيه شيءٌ جَعلَه يَصرُخ!

لقد رمشَ أمامه عدّة مرات وصرخَ بكلمات غير مَفهومة التفتَ الذّئب إلى مكان جَسد القَزم الذي اختفى من مَكانه!

نهضَ [سام] عندما أدركَ أنّه لم ينتهِ هذا الكابوس وبدأ يركُض عَودةً إلى المَقبرَة لينتهي من تلك اللّعنة التي بداخل هذه الجزيرة، وصلَ إلى المقبرة وبدا كالطّفل الذي يبحَث عن لُعبتِه الضّائعة فبدأ يبحَث عن القبر مُفترضًا أن يكون مُغلقًا، كانت أرض المَقبرَة زَلِقةً جدًّا بسبَب التّراب الذي كان يَحمِل بعض الماء، كان يَمشي بهدوء لا يتَماشى مع دقّات قلبه السّريعة، وبعد المَشي توقّف عند قبرٍ كان مفتوحًا وأسفله تابوتٌ ومنقوشٌ عليه اسم القسّ.

جلسَ [سام] على رُكبتيه ليَتبلّل بِنطالُه من التّراب فأعطاه ذلك شُعورًا مُقزّزًا بعضَ الشّيء، ولكنّهُ تحمّل ذلك الشّعور ومدّ يدَه الرّاجفة عند التابوت وعندما لمسَه أغمضَ عينيه وفتح التابوت، فتحَ عينيه لينظر لتلك الجثّة المُخيفةِ لشابٍّ صغيرٍ يَحضُن حَقيبةً مَحفورٌ عليها علامة الصّليب كانت عيناه بيضاويتان وفَمُه مفتوح بشكلٍ مُخيفٍ، بدأ [سام] يتراجَع ونهضَ من مَكانِه فعرفَ أنّ ذلك الشّاب ليس بالقسّ، فبدأ يسأل في نفسه: "أين جثّةُ القسّ!!".

أسئلةٌ كثيرةٌ راودَت تَفكيرَه دونَ الوُصولِ إلى إجاباتٍ، كانَ جلّ طموحهِ أن ينتهي هذا الكابوس بأيّ طريقةٍ حتّى لو اضطرّ إلى فتح قبورِ المقبرةِ جميعها للوصولِ إلى جثّةِ القسّ للحصولِ على الصّليبِ المُقدّس.

22

ما الحَقائق إلّا رَسائل تأتي لنا في وقتِ صَحوَتنا لنُكذّبها ونُصدّق الكلام الذي يأتي بغَفوتِنا...

[دراكاونس]: "[ديفيد] أنتَ تعلم أنّك ستموت لماذا لا تخرُج لتتَخلّص من تلك المُعاناة؟".

[ديفيد]: "أُفضّل أن أعيشَ المُعاناة على أن أمشيَ بنفسي للتّهلُكة التي ستُريني إيّاها".

[دراكاونس]: "إذًا تعلم تلك التّهلُكة؟".

[ديفيد]: "لا فمَا فعلت إلا ردّ الدّين الذي لن يُردّ لي".

[دراكاونس]: "ترى ما فعلتَه صَحيحًا ومن أدنى حُقوقك؟؟".

[ديفيد]:"لا؛ فليس لي حُقوق بحياة بشريّة غير حقوقي الشّخصيّة".

[دراكاونس]: "لماذا قَتلتَه؟".

[ديفيد]: "لأنّني لم أعلم ماذا أفعل عندما علمتُ أنّه ليس ابني!".

[دراكاونس]: "لِمَ لم تُحاول أن تفعلَ شيئًا آخر؟".

[ديفيد]: "مثل: كيف زوجتي خانتْني؟ ومع مَن؟!!!".

[دراكاونس]: "حسنًا أنتَ تَعلم أن زوجتك السّبب فلمَ لم تَقتلْها هي؟!".

[ديفيد]: "لأنّني أحبّها وأُؤمن أنّها سَتكون زوجةً كمَا أريد".

[دراكاونس]: "ولماذا لا تُؤمِن أنّه سيكون ابنًا مثلمَا تُريد أنت؟".

[ديفيد]: "توقّف أرجوك، توقّف عن فِعل ذلك أرجوك ابتعِد عنّي، دَعني أعِشْ!".

[دراكاونس]: "أَعِدك أنّك ستأخُذ عِقابك وسَيكون عقابك أنّك ستَموت هنا!".

ربّما الكذبُ أعظَم خَطيئةٍ، لا توجَد خطيئةٌ لم يكُن الصّدقِ فيها مَنجاةً لكنّنا نؤجّلُ ونُخفي ما نَشعُر به وما نرغَب فيه خوفًا مِن ردّةِ فعل الآخر، فنُبالغُ في كِتماننا للحقيقةِ حتّى يُصبِح أثرَ قولها كارثيًّا فهربَ [سام] كما هرب [ديفيد] وآخرون من قولها ليُعشعِش الخوف من الفقدانِ في نفوسِهم.

لم يتمكّن لـ [ديفيد] من إكمالِ الحديث فقد صمتَ وكأنّه خَضعَ للذّهابِ إليه فلا حياةَ تبقّت له ليستمرّ بالعيش من أجلها؛ فعندما تَعرِف زوجته ما فعلَه ستَهجُره ولن تصدّقَ الحبّ الذي بداخله لها، بدأ يمشي متجهًا إليه فبدأَت أفكارُه تتكاثر:

"أذلكَ ما فعله قلبي؟ ألا تنظُر لنَفسِك في السّابق كيف كنت تُحاول أن تظهر حبّك لها وهي لم تكُن تفعل الأشياء التي تفعلها إلّا لنفسِها فلا تهتمّ بك ولا تهتمّ لما أرَدت، ما هذا الوَهم الذي كنتَ تَعيشُه كيف تُريد أن تغيّر شَخصًا أَحببتَه وهو لا يُريد التّغير من أجلك؟ تَستمرّ بالمُحاولَة ولكن لا جَديد يَظهرُ بها فإن حاولتَ أن تفعلَ ما تُريده في يومٍ آخر تَضرِب ما أخبرتَها به وما أردتّه بالجِدار لتَفعلَ هي ما تُريده يجِب ألَّا تخدعَ نفسَك يا [ديفيد] ليومٍ آخر اصنَع لنَفسِك الحياة التي أنتَ أردتَّها فحبّها لن يفعل شيئًا بك ولن يُطوّر منك، لا تَتودّد لها لو لم تَمُت ولا تنظُر إليها بحبّ وكن نفسها افعل ما تفعله من التّجاهل مما يُريده قَلبك فهي خانتك مع رَجُل لماذا لا تفعلها مرة أخرى وثالثة!".

أصبح قريبًا من فوهة الكهف وكان الوَحش ينظُر إليه وهو يبتسِم ولكن توقّف [ديفيد] بعد أن حدثَ كلّ هذا الجِدال بعقله وقال: "تبًّا لك لن أخرجَ من هنا".

نظرَ [دراكاونس] إليه ومَلامحُه تَغيّرت إلى غضبٍ وقال له: "لن تَجرؤ على التّحمّل ممّا سَوف أفعل بها".

أصبحَ [ديفيد] يتراجَع ليكون في مَكانه السّابق نفسه: "قلبي هجرَها مثل ما هَجرَتني لقد كنتُ أخدعُ نفسي في السّابق بقصّة الحبّ تلك التي كنتُ أظنّ أنني أعيشُها معها ولكن الآن سأعيش قصّة حياتي مع نفسي فقط فلا أحد يَستحقّني".

[دراكاونس]: "أنتَ الآن في حَربٍ بين عقلك وقلبِك عندما يَحين مَوعد موتها ستُدرك أنّ ما قُلتَه لنفسك ستَندَم عليه وستتمنّى لو بَلعتَ لسانك عمَّا قلتَه قبل قليل وأنت تَعلم أنها لم تَهجُرك إنّمَا هي تعيش حياتها بطَريقتها وليس بطَريقتك وأنتَ لا تُحبّ ذلك!!".

ظهرَ صَوتُ عواءٍ عالٍ من خلفِ الوَحش فالتفتَ ورأى مجموعةً بعيدةً عنه أعينهم مُضيئةٌ فقال دراكاونس بصوتٍ مزمجرٍ: "مُستذئبون! أنا لا أتذكّر وُجودهم هنا عندما أتيت!".

بدَؤوا يَركُضون إليه ويَصرُخون وكأنّهم جنودٌ ذاهبونَ للحَرب بالسّيوفِ، فبدأ يركُض باتّجاههم، وكانت سُرعته تزداد بشَكل مُرعِب إلى أن قفزَ أحدُهم نحوه قفزةً طولها ثلاثةُ أمتارٍ فقفزَ دراكاونس أيضًا واصطَدَما ببعضهما اصطدامًا قويًّا سقطَ [المُستذئب] على الأرض ورأسُه يتَدحرَج بعيدًا عنه، شعرَ [المُستذئبون] الآخرون بالغضَب الشّديد فاشتَبكوا معه في صدامٍ قويٍّ، من كان خلفه يَجرَحه بمَخالبِه ومن كان أمامه يَضرِب بطنه ومن صعدَ فوقَه يُحاول كَسرَ رقبتِه ولكن كان لـ دراكاونس ردّة فعل قويّة من غضبِه: يرفع يدَه بقوّة ليَضربَ الذي أمامه ليَطير عنه ويَصطدِم بشجرة وتتكسّر فأغمي عليه، ورفعَ يده ليُمسكَ الذي فوق رأسِه ولكن تَشقلبَ من خلفه بسرعةٍ خاطفةٍ فالتفتَ دراكاونس خلفَه وأمسكَ برَقبة ذي المَخالب وقضمَها بفَمِه ثمّ بصَقَها على الأرض وسقطَ جَسدُه على الأرض وبدأ يبتسِم، دراكاونس ينظُر لآخر رجل بينهم وكان يقترِب منه ولكن بدأ يَسمَع صوتًا عاليًا من خلفه وفورَ أن التفتَ وجدَ قذيفةً سريعةً تأتي إليه ولم يتمكّن من تَجنّبها فضَربتْه وطارَ وحدثَ انفجارٌ عالٍ تَضرّر منه آخر مُستذئبٍ، بدأَت [أفا] و[فوستر] وجانبه [كيوني] يتّجهون لمكان دراكاونس الذي تضرر بقوة وكما خطّطوا أنَّ جسده يتخدّر من مادة الأكوستدين الذي يُفترض أن يكون جميع تَركيزه على جسد البشريّ الذي بداخله الذي سيَتخدّر منه...

بدؤوا يَقترِبون بتَوتّر عارم وعندما وَصلوا نظَروا إلى وَجهِه الأسود كان من المُفترض أن يَنفصلَ جسد دراكاونس عن الرّجل ولكن لم يَحدُث ذلك التفّت أفا لتنظُر إلى [فوستر] وكادَت أن تتَحدّث ولكن رأَت حاجبَيْ [فوستر] يَرتفعان ويَرفع يديه بسُرعةٍ مُشيراً إلى مكان [دراكاونس]، حاولَت أفا أن تَلتفِت ولكنّها لم تتمكّن وطارت بعيداً بعد أن ضربَها ضربةً قويّةً، نهضَ الوحش ليَذهبَ إلى [فوستر] لقَتلِه، ولكن رفع كيوني سلاح القَذائف وأطلقَ طلقةً عليه فأحدَثَ انفجاراً قريباً منهم وطاراَ بعيداً مُغمًى عليهما.

23

سادَ المكانَ الهُدوءُ بشَكلٍ مُباغِت، وكانت [ماري] مُختبئة خلف إحدى الأشجار تنظُر من بعيد إلى تلك المَجزرَة التي لم تتَوقّع حُدوثَها وكانت أنفاسُها بطيئة جدًّا وفجأةً أتت يدٌ مِن خلفِها لتَكتمَ أنفاسَها، كانت يدًا ثقيلةً وعالق بها الكثيرُ من التّرابِ، حاولَت [ماري] أن تُبعدَ تلك اليد وأحدثَت ضجّة قويّة بسبب أغصان الأشجار التي تَدوس عليها فسَمعَت الصّوت من خلفها قائلاً: "اهدئي [ماري] هذا أنا [سام]!!".

هدّأت [ماري] من رَوعِها فبدأ [سام] يُبعِد يده ببُطء، أخذَت [ماري] نفسًا عميقًا ثمّ قالت ل[سام]: "هل وَجدتّه؟".

رفعَ [سام] الحَقيبَة التي بيده وقال: "وجدتُّ هذه فقَط ولم أرَ مَا بداخلها!".

رفعَت [ماري] يدها وأخذَت الحَقيبَة لتفتّش ما بها ولكن سمعَت [سام] يُتأتئ بصوتٍ خافت وفورَ ما رفعَت رأسها لتَرى ما به رأتْه يُشير خلفَها فالتفّت وتمنّت لو أنّها لم تَلتفّ، كان [دراكاونس] خلفَها بفارقِ مِترين وأنفاسُه الثّقيلةُ وَصلَت لمَسامعها ومسامع [سام]، اقتربَ [دراكاونس] ورفعَ يده ليُمسك برأسِ [ماري] ولكن بسرعةٍ عاليةٍ رفعَت الحقيبَة في يدها وأغمضَت عينيها برُعبٍ وكانت تَعرفُ أنَّ يده ستَصل بعد ثوانٍ مَعدودةٍ ولكن لم يَحدُث شيءٌ.

كانت واقفةً لمدّةِ دقيقةٍ ففتحَت عينيها ونظرَت بمكان [دراكاونس] فوَجدته واقفًا وكانت نَظراته نظراتٌ بشريّةٌ تَحمل الكثير من الذّكرياتِ لتِلك الحقيبةِ الصّغيرةِ، بدأ جسده يَهتزُّ بشدّةٍ وكأنّ هناك شيئًا يُحاربُه وبدأ يَصرُخ بشدّة ويضَع يديه على رأسه، كانت صَرخاته عالية جدًّا أنزلَ يديه الضّخمتين إلى جسده وبدأَ يُقطّعه ويقُطّعه ثمّ توقّف وبدأ ينظُر إلى الحَقيبَة وأطلقَ صرخةً قويّةً جعلَت [ماري] تضعُ يديها على أُذنَيها ويَحدُث انفجارٌ قويٌّ وانفجرَ جسدُ الوحشِ إلى قطعٍ صغيرةٍ سوداءَ امتلأ جَسدُ [ماري] و[سام] بها، التفتَت [ماري] إلى [سام] الذي سَقطَ على الأرض ومَدّت يدها لتَرفعَه، ما إن نهضَ [سام] أشارَ إلى تلك الجثّة على الأرض وكان يلبِس ملابس بيضاء المادة لم تَصِل إليه بطريقةٍ مُريبةٍ، ذهبَت [ماري] لترى الجسَد وما أن اقتربَت رأَت وجهَ القسّ!

وضعَت يَديها على فمِها وهي مُرتعِبة وقالت: "يا لَلهول ما الذي جَرى؟!".

قال [سام] وهو يتساءل: "ما بك؟".

انحنَت [ماري] إلى جَسد القسّ وأجابَت [سام]: "إنّه القسّ، هو من كانَ المُضيف للوَحش!".

لقد كان القسّ، أثقلَته اعترِأفات النّاس فباتَ ضَعيفًا يُصارعُ أفكاره المُشوّشة بينَ الخَطايا ليَستغلّ ذاك الوَحش جَسدهُ المُنهَك ويَستقرّ فيه ليُواجه كلّ شخصٍ بخَطيئتِه وما تَسبّبت يداه من ألمٍ لِمَن حَولِه.

النّهايَة

نِهاية البِدايَة

ما إن لمسَت جسده بدأَت قطع المادة السّوداء تتَحرّك عن جسدها وكأنّه يُوجد دُود بجميع جسدها وذلك أرعبَ [سام] بشدّةٍ فبدأ يُبعدهم عنه وهو يَقفِز ويتَحرّك بقَرفٍ إلى أن استَطاعَ التّخلُّصَ من تلكَ المادّة العالقةِ التي كانت بجَسد [ماري] و[سام] لتتجمّعَ وتُصبِح كتلةً واحدةً تبحثُ عن جثّةِ أحدهم لتَسكنهُ فلم تجِد أمامها سوى جُثَث المُستذئبينَ فبدأَت تتَسلّل إليهم مُتعمّدةً أن تَستَهدفَ جُثثَهم فقط!

كان ذلك المنظَر مُثيراً للرّهبةِ وكانت [ماري] تتساءلُ ماذا سيَحدُث بعد ذلك،

أمسكَ [سام] يدها وقال: "يجِب أن نَرحَل من هنا ونُخبِر سكّان الجزيرة لأجل الهُروب!".

أعادَت نظرَها لتلك الجَثَث ثمّ نظرَت إلى [سام] الذي سحَبها وبدَءا يَهربَان فلم يدَع لها أيّ خيار لفِعل أيّ شيء سوى الرّكض خلفَه.

كانَا مُنهَكين جدًّا لِما حمله هذا اليومُ من أحداثٍ بسبب اليوم الذي تَطلّبَت منهما استِخدام كلّ قوّتهمَا وعندما وَصلا إلى قرب الفندق رأيا [سارة] واقفةً عندَ البوابة فورَ أن رأت [سام] ركضَت إليه بخَوفٍ واحتَضنتْه بقوّةٍ، ثمّ أبعدتْه لتُفتّش جَسدَه لترى إن أصابَه شيءٌ ما ولكن أوقفَها [سام] وقال بحَزم: "توقّفي أنا بخير".

سألت [ماري] [سارة]: "هل الجَميع بالفندق؟".

أجابتها [سارة] إجابة صادمَة لها: "لا، جميعهم رَحلوا عن هنا".

صُدم [سام] كذلك وقال باستِغراب: "أين رَحلوا وكيف!؟؟".

"بعد أن اجتمعتُ مع [سأفانا] لنَعود إلى الفندق كان الناس مُتأهّبين ويُوجد جنود يَدلّونهم على غَواصةٍ كانت قُربَ طرف الجزيرة ذهبنَا سَألنا العديد من الأشخاص عمَّا يَحدُث ولم يكن أحدهم يعلَم فرأينا من بعيد شابًّا وبجانبه رَجلٌ يُشابهه فذَهبنا إليه وسألته عمَّا يَحدُث وأجابني... أنَّ حكومةَ الولايات المتحدة اتّفقَت مع الدّولة أن يَستَخدموا إحدى غوّاصاتهم ليُخرِجوا جميع مَن كان في الجزيرة...

وبعد أن انتهى طلبَ منّي أن أصفّ في الخَلف لكي نَدخُل جميعًا بشكلٍ مُنتظمٍ إلى الغوّاصة فذهبَت [سأفانا] وأخبرتُها أنني سأَختبئ داخل الفندق لأنّني لا أُريد العودة من دُونك، في البداية رَفَضَت ولكن تَركَتني، كانت تُريد البقاء وكان عَقلُها مُتخبّطًا ومشوّشًا فيهِ الكثيرُ من التّردّدِ إلّا أنّ الخوفَ من المُكوثِ في هذه الجزيرةِ قد أنهى الأمر وفي الأخير قرّرت أن تذهَب لتُنقِذ نفسَها".

وفي لحظةِ تفكيرٍ بينهم خرجَ صوتُ صرخةٍ قويّةٍ كان مَصدرها خلفَهم وعندما التفّوا رأوا جسدًا عملاقًا، وفجأةً خرجَ من العدَم مُكعّبٌ صغيرٌ ومِن ثمَّ بدأ ثقبٌ أزرق يخرجُ من العدمِ وينظرُ إليهم رجلٌ يَعلو رأسَه الشّيبُ وكانت بجانبهِ فتاةٌ صغيرةٌ تنظُر إليهم، دخلَ الرّجل وأغلقَ ذلك الثُّقب باستِخدامِ جهازٍ صغيرٍ بيدهِ ثمّ أمسكَ بالمُكعّبِ ووَضعَه بجَيبِه

ثمّ نظرَ إليهم وسألَهم بسرعةٍ: "أين أفا؟".

أجابه [سام]: "أفا مَن؟".

تقَدّمت [ماري] قليلاً وقالت: "إنّها تِلك المرأة التي أخبرتُك عنها".

ارتفعَ حاجبَا [سام] ثمّ هَمهَم ولكن تذكّر الوَحش العِملاق الذي خلفَهم وقال بسُرعَة: "وأنتَ أتيتَ لتُنقذَنا؟!"

نظرَ لهم باستِغرابٍ وقال: "أنا لا أهتمّ لأمركم كلُّ ما يُهمّني أفا ألّا تموتَ هنا! لأنّها إن ماتَت سَيتدمّرُ العالم لا مَحالة! تأثير مَوتكم لن يفعلَ هذا الشّيء".

[ماري]: "إنها هناك".

أشارَت إلى مَكان العِملاق الذي بدأ يتَحرّك أخيراً...

[سام]: "يُمكِنك أن تُنقذَها إن لم يَلتهِمها الوَحش".

تركَهم الرّجل وبدأ يركُض ناحية الوَحش الذي أخذ خُطوَته الأخرى وهنا حدثَت المُفاجأة؛ أتى نورٌ مِن بعيدٍ، ساطعٌ جداً على وَجهِ الوَحش وكأنّه من السّماءِ فوضعَ يده عند وجهه وقد كان النور يُزعجه جداً عندما رفعَت [ماري] رأسَها إلى السّماء وجدَت عدةّ طائرات مُتّجهة نحو الوَحش فبدأَت تلك الطّائرات بإطلاق صَواريخ عديدة وتتَشكّل مع كلّ ضربةٍ تأتي إليه مَوجةٌ تَردُّديّة تَجعَل أجسادَ وأعضاءَ مَن في الأسفل في الأرض تهتزّ.

صرخَت [ماري] عليهم: "يجِب أن ندخل الفندق لنَحمي أنفسنا من مَوجات آنومي فهي مضرّة على أجسادِنا جدًا".

فورَ أن قالَت تلك الكلمات دخلوا جميعهم وكان [دراكاونس] يَصرُخ بشدّةٍ ويدمّر كلّ مَن كان تحت رجليهِ فبدأ يتَحرّك بعشوائيّةٍ إلى أن وصلَ لمنازلِ سُكّانِ الجزيرةِ وأصبحَت تتدمّر.

وصلَت الطّائراتُ إلى الجزيرةِ وكان [دراكاونس] خامِلًا مُنهكًا ليسَ لديه الطاقةُ لفعلِ شيءٍ وكان الجنود يَعتقِدون أنّهم انتهوا منه، ما لم لم يعلموهُ أنّ تلك المرحلة كانت مُجرّد البداية، رفع [دراكاونس] رأسَه ونظَرَ للطائرةِ التي اقتربَت منه وبُسرعةٍ بدأ يركُض إليها، وكان سائقُ الطّائرةِ يحاولُ أن يلتفَّ ولكنَّ سرعةَ [دراكاونس] غير المُتوقّعةِ مكَّنته من أن يُمسِك الطائرة الضّخمةَ ليُسقطها على الأرضِ ويُحدثَ انفجارًا ضخمًا، وذلك أثّر كثيرًا عليه، فسَقطَ على الأرض وأدركَ أنَّ فَعلتَه الغبيّة أَضعَفتْه جدًا لأنّ الصّواريخ التي بالطّائرة تفجّرت أيضًا، لم تتَجرّأ الطّائرة الأخرى أن تتقدّم فبقيَت بعيدةً وبدأَت بالإطلاقِ عليهِ إلى أن تدمّر وَجهُه ولم يَتمكّن للمادّةِ التّشكّل مرّةً أخرى فتقدّمت أربع طائراتٍ ضخام الحَجمِ وكان في مُنتصفها قفصٌ كبيرٌ جدًا وصلَت الطّائرات إلى [دراكاونس] وأسقطَت القفَص عليه وأصبحَ بداخلِه وتمّ حَبسُه..

في العاصِمة

التّوقيت: 6:32

بعد شهرين من الأحداث..

المَكان: مركز إعادة التّأهيل.

"ألم نَنتهِ من كلّ هذا؟". تحدّث [سام] بعدَم صَبر

أجابتْه [الطّبيبة]: "لن ننتهِيَ إلّا عندما نَصِل لنُقطَة تتَذكّر بها كلّ شيءٍ".

وضعَ [سام] يديه على الكرسيّ لكي يَنهَض ولكن مدّت [الطّبيبة] يدها لتُمسِك مِعصَمه: "أنتَ أتيتَ لي قبل شهرين وكانت حالتُك يُرثى لها وأقسمتَ أنّه حدثَت لك أشياء كثيرة بجَزيرة آران".

قال [سام] بغَضَب وهو يدفع يدَها بعيدًا عنه: "أي جزيرةٍ! أنا لم أذهَب لأيّ جزيرة، ماذا تُريدين منّي ماذا!!؟".

نَهضَت [الطّبيبَة] وقالَت: "[سام]، لقد أخبرتَني عن قصّة زوجتك [سارة] وما حدثَ لكما وعن [ديفيد] الذي مات إثر تَدمّر الكهف عليه.. زوجتك [سارة] ألا تتذكّرها؟".

[سام]: "عليكِ اللّعنة، أنا لا أعرِف من [سارة] تلك وأنا غير مُرتبط منذ سنين طَويلة كيف أتزوّج وكيف أختلِق لك قِصّةً مِنَ العدَم؟ أنا لا أعرِف كيف أتيتِ بعنوان شقّتي ورقم هاتفي ولكن أَعدك إن أتاني اتّصال مرة أخرى من خِلالك سأجعلك تَندَمين طِيلة حياتك أُقسِم لك!!".

ذهبَ ناحية الباب وفتحَه بقوّة ولكن توقّف بعد أن سمعَ كلمات مُتناثرَة من فمِ [الطّبيبَة]: "لقد أخبرتَني بخَطيئتِك يا [سام]، لقَد أخبرتَني عنها!".

التفَتَ [سام] وعيناه مُشتعِلتان غضبًا: "حسن أخبِريني بشَيء لا أحدَ يَعرِفه عنّي، إن كنتِ صادقةً بكلامك فأخبِريني".

[الطّبيبَة]: "هل نَسيتَ ذلك الطّفل؟".

اهتزّ جسدُه فجأة وسقطَ على الأرض وأُغمي عليه، ركضَت الطّبيبة إليه بسُرعةٍ وصرخَت بالأطبّاء الآخرين لكي يأتوا ليُساعدوها في حَملِه ولكن كانت تَرى شَفَتيه تتَحرّكان وكأنّه يَقول شيئًا، فاقتربَت منه وسَمعَته يَقول رقم عنوان منزلٍ فحَفظَته بسُرعةٍ وأتى الأطباءُ وسألوا الطّبيبَة عمّا جرى له فقالَت لهم: "لقَد سَقطَ فجأةً". حَملوه وأخذوه لغُرفته وهي عادَت لغُرفتها وأخذَت قلمًا ودَفترًا وكتبَت ذلك العنوان لتبدأ قصّةٌ أخرى للبَحث عن الحقيقة.

النّهايَة...